

محمد محمود الصواف

زوجات
النبي
الطاهرات
وعلمنا نعدوهن

دار الأحياء



A
297.64
S 2712

كتب للمؤلف

القرآن أنواره أوصافه ، فضائله ، ختمه

ام القرآن وخير ثلاث سور أنزلت

نظرات في سورة الحجرات

عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور

معركة الاسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس
واليوم .

المسلمون وعلم الفلك

زوجات النبي ﷺ وحكمة تعددهم

تعليم الصلاة

الشركة المتحدة للتوزيع بيروت ص.ب ١١٧٤٦٠
ملتزم التوزيع مكتبة الارشاد جدة ص.ب ١١٢٧

محمد محمود الصواف

زُفَجَاتُ النَّبِيِّ ﷺ الطَّائِمَةِ

وحكمة تعددهن

ذَالِ الْأَعْيُنِ قِيلَ

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء

الى

روح سيدنا ، وحبيبنا ، وشفيعنا ، وقائدنا ، وزعيمنا
وامامنا ، وهادينا ، ونبينا ، ورسولنا ، حبيب الله وصفيه
ورسوله الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

والى

ارواح أزواج النبی الطاهرات ، أنلواتی زکاهن الله ،
وطهرهن ، ورضی عنهن ، وأرضاهن ، فاکرمهن ، ونعمهن ،
وجعل الجنة ماواهن .

الى روحه صلى الله عليه وسلم الطاهرة العلية الخالدة
في جنة الفردوس ، والى ارواح أزواجه أمهات المؤمنين أهدى
هذا المختصر ، راجيا من الله القبول ، والله حسبي ونعم
الوكيل .

محمد محمود الصواف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين . وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله المبعوث رحمة للعالمين « محمد » وعلى آله وأزواجه وصحابته الطيبين الطاهرين ، ومن دعا بدعوته ونهجه نهجه - وسلك سبيله الى يوم الدين وبعد :

فهذا كتاب « زوجات النبی الطاهرات » أقدمه للقراء في طبعته الثالثة وثمیه الجديد . راجيا أن ينال من الرضا والقبول ما ناله طبعته الاولى والثانية ، عند خروجها للناس وكنت شاكرا لله فضله ، وراغبا أشد الرغبة في تجديد طبعه مرات ومرات ، ولعل الله أن ينفع به لاهمية موضوعه : وهو وان كان صغيرا حجمه ، فانه عظيم أثره ، وكبير خطره . خاصة وهو يعالج موضوعا دقيقا طالما ولغ فيه اعداء الاسلام ، وهاولوا أن ينفذوا منه للنيل من الاسلام ونبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

ولولا جهل كثير من المسلمين بمثل هذا الموضوع . لما استطاع عدو مكابر أن ينبس ببنت شفة في تعدد زوجات النبي الطاهرات ، ذلك التعدد الذى اختص الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، والذى يعتبر بحق مصدر فخر ، وحكمة ، ورحمة عالية ، وانسانية رفيعة سامية لهذا الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فاقرأوا سبب التعدد ، لتعلموا بعده حكمة التعدد ، وفلسفة التعدد ، وجمال التعدد . وستردون بعده على أعداء الله المبطلين ، وأعداء الاسلام الحاقدين الذين يدسون على الاسلام بانتقاص نبي الاسلام في موضوع يعتبر مفخرة عظمى من مفاخر وعظمة وانسانية هذا الرسول الأمين الرحيم الكريم صلى الله عليه وسلم .

انه الجهل الاعمى تصحبه الأغراض الخبيثة التى تعمى وتصم ، تجعل صاحبها يتخبط ويتشبط في أنفاس دنسه ينفث فيها السم ، ويفترى الكذب على أكرم رسل الله ، وخير خلقه أجمعين وسيد أنبياء الله عليه وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وأريد هنا أن أسال هؤلاء الأعداء المرجفين الذين طعنوا في ذات الرسول الشريفة وظنوا خطأ وافكا وزورا ، وبزائانا وضلالا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما تزوج من تزوج من النساء ، اجابة لداعى الهوى أو اشباعا للشهوة .

أسائل هؤلاء المفرضين : متى يكون داعى الهوى قويا ؟

ومتى يكون عنفوان الشهوة وشدها ؟ اليس في عهد الصبا والشباب ؟ وليس في عهد الكهولة والشيخوخة . وهذا مالا يختلف فيه أحد والرسول عليه الصلاة والسلام ما لامست يده امرأة لا تحل له في عهد الصبا والشباب ، وقد عرف بالعفة والامانة والصدق والشرف والاستعلاء حتى عن مصافحة النساء . حتى قال عليه الصلاة والسلام : انى لا اصافح النساء .

وتزوج عليه الصلاة والسلام خديجة الكبرى وهو في عنفوان وعزة شبابه اذ كان عمره الشريف الخامسة والعشرين . وخديجة رضى الله عنها ارملة ليست بالبكر ، وكهلة وليست بالشابة اذ كانت قد بلغت الاربعين من عمرها الشريف ، ومع هذا الفارق فقد تزوجها صلى الله عليه وسلم وسعد بها ، وكاتا اسعد واكرم زوجين في الوجود . وقد امضى معها زهرة شبابه ، وصفوة عمره ، ولم يتزوج بغيرها قبل موتها رضى الله عنها وارضاه . وكانت ساعده الايمن وعضده في الدعوة والثبات والجهاد .

ولم يبدأ بالزواج عليه الصلاة والسلام الا بعد ان اصبح الزواج ضرورة من ضرريات الدعوة . وذلك بعد هجرته الى المدينة المنورة . وقد بلغت سنه الشريفه الثالثة والخمسين . وسن الشيخوخة عند الفقهاء تبدأ منذ الخمسين . ومعنى هذا : ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبدأ بالزواج الا ببداية سن الشيخوخة عنده ، وهل هذه السن مجلبة لذاعى الهوى والشهوة كما يزعم اعداء الاسلام ، ام هى الحكمة والرحمة والانسانية العليا ؟ !

ان الرسول الامين عليه الصلاة والسلام لم يكن بحاجة

لان يتزوج بمن تزوج من النساء بعد خديجة الكبرى لولا
 حرصه على الدعوة الاسلامية . وقد رغبه هذا الحرص في
 مصاهرة من تقوى بهم شوكته ، ويشد بهم ازره ، خاصة
 بعد أن فقد عمه وزوجته . وهما الركنان العظيمان من
 اركان نصرته وتأييده وتدعيمه . هذا من جهة ومن جهة اخرى
 عطفه وحنانه ورحمته باللاتى تزوج بهن من الارامل الشيات
 اللواتى تزوجهن بعد ان تركهن ازواجهن من غير ناصر ولا معين
 ولو كان للهوى والشهوة سلطان على قلب المصطفى صلى
 الله عليه وسلم لاتخذ من الزوجات من شاء قبل النبوة .
 وهو في اول شبابه واستكمال قواه ، لا شرع يحول بينه وبين
 بغيته ، ولا عادة تمنعه من قضاء مآربه وتمتعه بلذائذ الحياة
 ومتع الدنيا ، ولا سيما وقد كان مرغوبا فيه بين الناس لما
 اشتهر به من مكارم الاخلاق وحميد الفعال والخصال ورائق
 الجبال ، وكمال القوة والفتوة ولكنه صلوات الله وسلامه
 عليه لم يفعل ذلك ، ولم يتزوج قبل النبوة من شاء من
 النساء . وهو في عنفوان شبابه والعرب كانت تكثر من
 الزوجات حتى ان منهم من كانت عنده العشر والعشرون
 امرأة في وقت واحد فلم يتزوج بغير خديجة قبل الاسلام وقد
 قضى معها شبيبته وطائفة من كهولته اذ كانت همه الرسول
 عليه الصلاة والسلام منصرفة الى نصره الدعوة وقد بذل
 كل شيء في سبيل الدعوة الى الله ، وتجرد من الدنيا وما فيها
 لهذه الغاية السامية ، وسلك كل سهل لتقدمها ونشرها بين
 الانام . وان عمله هذا وتزوجه بها في السنة بعد الهجرة
 المباركة كان من هذه الاسباب التى وطلعت اركان الاسلام ،
 وثبتت دعائمه ، واظهرت للمنصفين عظمة هذا الرسول
 الامين ومبلغ عطفه وبعد نظره وعظيم رحمته بالمؤمنين
 والمؤمنات .

ولم يتزوج عليه الصلاة والسلام بامرأة بكر سوى عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها وارضاهها . وجميع من تزوجهن غيرها كن ثيبات وعوانس وأرامل وعجائز بعرف الناس ، ولكن أهداف النبي صلى الله عليه وسلم تختلف كل الاختلاف عن أهداف الناس واعراف الناس فلم يلتفت الى سن ولا الى جمال ولا الى مال ولكنها الرحمة العليا والاهداف السامية التي جعلت من هذا الزواج بركة على الاسلام وفتحت آفاقا فسيحة للدعوة المباركة التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته وما يملك وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . . وسيجد القارئ الكريم في هذا الكتيب ملامح من عظمة الرسول في جانب من جوانبها التي لا تحد آفاقها الفسيحة حدود ولا سدود . هذا الجانب هو : زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن .

واننى اذ اقدم هذا الكتيب للقراء ارجو الله ان ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يبصر المسلمين بحقائق الاسلام الناصعة البيضاء . وأن يرد كيد أعدائنا في نحورهم ، ويحفظنا من شرورهم . انه تبارك وتعالى نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة « محمد » سيد الهداة وامام الدعاة والرعاة . وقائد الفر المحجلين الى الجنات المعروشات جعلنا الله واياكم من اتباعه واعوانه وأنصاره ومؤازري دعوته وناشري شريعته والحمد لله أولا وآخرا في البدء والختام .

محمد محمود المصواف

القاهرة
رمضان سنة ١٣٩٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأشكره ، واستغفره ،
واستهديه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،
من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن
محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره
على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وصلى الله على سيدنا
محمد ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين
وبعد :

فقد طلب إلى البعض ممن يفاخرون على الإسلام ونبي
الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن أتكلّم عن
زوجات الرسول الرحيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم وأسباب تعددهن ، والحكمة في هذا التعدد . وما كان
لي أن أرد هذا الطلب الكريم وهو بصدد الدفاع عن الإسلام

العظيم ونبي الاسلام الاعظم ، الذى شرفنا الله بالانتساب اليه ، واکرمنا باتباع هذا الرسول الامين ، عليه افضل الصلاة والتسليم ، والذى نرجوه من ربنا عز وجل ، ان يزكينا بالصلاة على نبيه الاعظم ، وان يحشرنا فى زمرة ، ويوردنا حوضه فى جنة الخلد . وتلك النعمة الكبرى ، والمنة العظمى التى تتلطف لها انفس المؤمنين ، وتهفو لها قلوب الصالحين ، وتتشتاقها ارواح المجاهدين ، وهانذا اقدم بين يدي القراء الكرام هذه الرسالة المختصرة ، راجيا من الشباب والشابات ان سمعنوا النظر فيها ، ويحفظوا خلاصتها ، ليردوا كيد الكائدين فى نحورهم ، ويمنعوا هجمات اعداء الاسلام المنظمة على الاسلام ونبي الاسلام ، فيصونوا كرامة دينهم الخالد ، الذى بنى لهم مجدا وعزا ، وكان غرة بيضاء فى جبين الانسانية الضالة ، وسراجا وهاجا يضيء لها السبيل ، اسأل الله ان يهدينا الى الحق ويوفقنا لاتباعه وان يرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه ، انه تعالى نعم الهادى ، الى سواء السبيل ، والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف



كلمة عامة

” في حكمة تعدد أزواج النبي الطاهرات “

لقد احببت ان افرد لهذا الطلب رسالة خاصة ، على الرغم من كثرة من الف وكتب في هذا الموضوع . ولكنه موزع هنا وهناك وليس من الميسور الاطلاع عليه ، خاصة للشباب المثقف الناشئ فافردت هذه الرسالة لتكون بين ايدي الناس ، ليطلعوا على هذا الموضوع الجليل الذي طالما تساءل عنه السائلون ، وارجف فيه المرجفون . فاهتدى فيه من اهتدى الى الحق والصواب ، وضل فيه من ضل ممن اعمى الجهل أو التعصب ابصارهم ، وبصائرهم وبلغ ببعضهم الحقد والحسد والكيد للاسلام ، ان طعنوا في ذات الرسول الشريفة ، وظنوا خطأ ، وافكا ، وزورا ، وبهتاناً ، وضلالاً . « ان الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من زوج من النساء ، اجابة لداعى الهوى ، او اشباعا للشهوة » . وما علموا ان الرسول الامين والنبي الكريم ، قد بذل كل شيء في سبيل الدعوة الى الله ، وتجرد من الدنيا وما فيها لهذه الغاية السامية ، وسلك كل سبيل لتقدمها ونشرها بين الانام . وان عمله هذا وتزوجه بهاته النسوة ، كان من هذه

الاسباب التى وطدت اركان الاسلام ، وثبتت دعائمه ،
واظهرت للناس المقسطين المنصفين ، عظمة هذا الرسول
الامين ، ومبلغ عطفه ، وثاقب نظره ، وعظيم رحمته بالمؤمنين
والمؤمنات .

فما كان بالرسول حاجة لان يتزوج بمن تزوج من النساء
بعد خديجة الكبرى ، وقد امضى معها زهرة شبابه ، وصفوة
عمره ، لولا حرصه صلى الله عليه وسلم على الدعوة
الاسلامية .

وقد رغبه هذا الحرص فى مصاهرة من تقوى بهم شوكته ،
ويتسند بهم ازره ، بعد ان فقد عمه وزوجته ، وهما الركبان
العظيمان ، من اركان نصرته وتأييده وتدعيمه ، وتقويته .
هذا من جهة ومن جهة اخرى ، عطفه وحنانه ، ورحمته ،
باللائى تزوج بهن من الارامل الثيبات اللواتى تزوجهن بعد ان
تركهن ازواجهن من غير ناصر ولا معين .

ولو كان للهوى والشهوة سلطان من قلب المصطفى عليه
الصلاة والسلام لاتخذ من الزوجات من شاء قبل النبوة ،
وهو فى اول شبابه واستكمال قواه ، لاشرع يحول بينه وبين
بغيته ، ولا عادة تمنعه من قضاء ماآربه ، وتمتعه بلذائذ
الحياة ومتع الدنيا ولا سيما ، وقد كان مرغوبا فيه بين الناس
لما اشتهر به من مكارم الاخلاق وحميد الفعال ، والخصال ،
وزائق الجمال ، وكمال القوة والفتوة ، ولكنه صلوات الله
وسلامه عليه لم يفعل ذلك ولم يتزوج قبل النبوة من شاء
من النساء وهو فى عنفوان شبابه ، والعرب كانت تكثر من
الزوجات حتى ان منهم من كان تحتها العشر ، والعشرون
امراة فى وقت واحد .

فلم يتزوج عليه الصلاة والسلام بغير خديجة قبل الاسلام ، وقد قضى معها شببته وطائفة من كهولته ، وبعد ان ماتت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد مكث معها خمسا وعشرين سنة ، بدأ بعدها بحياة اخرى مع زوجات اخريات . ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه هذا بدعا من الرسل ، حتى يقول المفرضون المنافقون : « ان منزلة النبوة التى دعا اليها محمد كان يجب ان تحول بينه وبين الاكثار من عدد الزوجات » . نعم لم يكن هو الوحيد الذى تزوج من بين الرسل ، فغيره من الرسل قد تزوج ، ولا بأس عليهم فى ذلك صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فذلك سنة الله فى خلقه .

وامامنا الرسولان الكريمان داود وسليمان عليهما السلام فقد تزوجا كثيرا من النساء ، ولا يسع عاقلا من العقلاء انكار نبوتهما وشريعتهما وما اتيا به ، من الصحف السماوية المنزلة .

ومنزلة النبوة التى دعا اليها الرسول الرحيم لا يجوز ان تحول بينه وبين الاكثار من عدد الزوجات . بل قد تدعوه الى الاكثار من عدد الزوجات لان الدعوة الى شئ تحتاج الى التبليغ وتدعو الى الاكثار من الدعاة ، لنشرها بين الناس . وهكذا شأن كل دعوة تريد البقاء والخلود والذیوع بين الملا فكلما كثر الدعاة وزادوا ، زاد الاقبال على الدعوة وعظم امرها وشاع ذكرها ، وتضاعف ناصروها ومؤيدوها ، خاصة الدعوات الصادقة التى تحمل معها عناصر خلودها وبقائها . كالدعوة الاسلامية المباركة التى جاء بها الرسول الامين من ربه .

ومن لوازم صاحب الدعوة الاول المضطلع بدعوته ،
المخلص لها والمتفانى في سبيلها ، أن يتألف الناس ويتصل
بهم ، ويسلك السبل التي تقربه منهم ، ليجد طريقا لدعوته
الى قلوبهم ، ولا اتصال اقوى من اتصال المصاهرة
والنسب .

فكل امرأة يتزوجها يتألف بها اهلها وعشيرتها وقبيلتها ،
فكانت المرأة تعدل المئات من الرجال .

وجريا على هذه السنة سار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فتألف اقواما بزواجه ببعض النساء . ودفع عنه
اذى اقوام بتزوج الاخريات ، وانقذ البعض منهم من الدلاك
بزواجه بهن وجزاهن على الاسلام خير الجزاء ، فصرن
امهات المؤمنين ولو تركهن الرسول لوقعن في شرك
المشركين .

واراد الرسول صلى الله عليه وسلم . هذا وذاك —
والله اعلم بما اراد — أن يجعل من كل واحدة منهن داعية
الى الاسلام ، ومدرسة قائمة بذاتها ، تعلم الناس وتفتيهم
في امور دينهم ، وتبين لهم الحلال والحرام .

فبيوت النبي لم تكن الا مدارس للمؤمنين والمؤمنات ،
تهذب ، وتعلم ، وتبين للناس ما يحب أن يعلموه عن رسولهم
في شأنه كله .

وكانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم مفتوحة
للمائلات وبعض السائلين من ذوى قرى نساء النبي .

وما احوج المسلمين آنذاك الى مثل هذه المدارس ، والدين
طرى ، والدعوة الاسلامية جديدة على الناس ، وان كان
اصلها ثابتا فى قلوب المؤمنين والمؤمنات . وفرعها فى السماء
تؤتى اكلها كل حين باذن ربها .

وخلاصة القول ان امهات المؤمنين الطاهرات التسع
اللائى توفى عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن معلمات
ومهذبات ومصلحات ومفتيات لنساء الامة الاسلامية ،
ولرجالها فى القضايا النسائية والاحكام الشرعية والآداب
الزوجية والحكم النبوية ، وكن قدوة صالحة فى الخير وعمل
البر والاحسان كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل
الاعلى فى حسن الخلق وطيب العشرة مع نسائه . فقد
عاشرن بالمعروف ، وعدل بينهن وعلمهن الاحكام الشرعية
الخاصة بالنساء ، وسياسة النبى صلى الله عليه وسلم فى
تعدد النساء هى السياسة الرشيدة التى اقتضتها ظروف
الدعوة الاسلامية .

ومن الصعب او المستحيل ان تقوم زوجة واحدة او
زوجتان ، بالاعباء الجسام التى اضطلع بالقيام بها تسع
نسوة مؤمنات ، عابدات خاشعات ، وما حفظنه من احكام
الشريعة ، لا يمكن ان تستوعبه امرأة واحدة حفظا ودراية
ورواية مهما اوتيت من قوة الحافظة وفرط الذكاء .

وقد روى عن زوجات النبى الطاهرات رجال كثير
ونساء ، فى مختلف الاحكام الشرعية ، خاصة القضايا
النسائية وكتب الحديث شاهدة بذلك .

ولعل فى هذا القدر كفاية لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد ، والله الهادى الى سواء السبيل .

مجموع أمهات المؤمنين

- ١ — « خديجة الكبرى » رضى الله عنها .
تزوجها النبي وعمرها أربعون سنة .
- ٢ — « سودة بنت زمعة » رضى الله عنها .
وهي أرملة السكران بن عمرو .
- ٣ — « عائشة بنت أبي بكر » رضى الله عنها .
وهي البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٤ — « حفصة بنت عمر بن الخطاب » رضى الله عنها .
وهي أرملة « شهيد بدر » خنيس بن حذافة .
- ٥ — « زينب بنت جحش » رضى الله عنها .
وهي ابنة عمه النبي ومطلقة زيد بن حارثة .
- ٦ — « زينب بنت خزيمة » رضى الله عنها .
وهي أرملة « شهيد بدر » عبدة بن الحارث .

- ٧ — « أم سلمة هند بنت أمية » رضى الله عنها .
وهى أرملة « شهيد أحد » عبدالله بن عبد الاسد .
- ٨ — « أم حبيبة زملة بنت أبى سفيان » رضى الله عنها .
وهى أرملة عبيد الله بن جحش .
- ٩ — « ميمونة بنت الحارث الهلالية » رضى الله عنها .
وهى خالة خالد بن الوليد وخالة عبدالله بن عباس .
- ١٠ — « جويرية بنت الحارث » رضى الله عنها .
وهى أرملة مسافع بن صفوان المصطلقى .
- ١١ — « صفية بنت حى بن أخطب » رضى الله عنها .
وهى أرملة كنانة ابن أبى الحقيق .

* * *

خديجة الكبرى رضي الله عنها

رضى الله عن الطاهرة ، أم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين .

لقد كانت أعقل العقائل ، وفضلى الفواضل ، حتى كانوا يلقبونها من عهد الجاهلية « بالطاهرة » .

آمنت بالرسول اذ كفر به الناس وصدقته اذ كذبه الناس ، وواسته بمالها يوم حرمه الناس .

عاشت مع الرسول صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وعشرا بعدها ، فكانت خير مثل للمرأة الكاملة .

تزوجها رسول الله الكريم في أول شبابه وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهى ثيب بنت أربعين سنة .

وكان صداقها عشرين بكرة من الابل ولغراستها بالرجال وثاقب نظرها كانت هى التى خطبت النبی صلى الله عليه وسلم لنفسها لما سمعت ورات من أمانته ، واستقامته

وصدقه ووفائه وحسن أدبه ، وطيبه ، عليه الصلاة والسلام . فأرسلت اليه بعد أن عاد من الشام من تجارة لها مع غلامها « ميسرة » وقالت له : « يا ابن عمى انى قد رغبت فيك لقربتك ، وأمانتك ، وصدق حديثك » .

هذه المرأة المحترمة تخطب الرسول لنفسها ، وهى الشريفة الحسبية بين قومها الرفيعة الشأن والقدر ، الغنية، المترفة المرغوب فيها من كل أحد .

وقد خطبها الكثير من الرجال من كبار قومها ومن غيرهم ولكنها ردتهم خائبين واختارت لنفسها التقى الفقى الطاهر الزكى الامين ، زين شبلب قريش ، ومن لاحت فى جبينه سمات النبل والعبقرية ، وتجمعت فيه خصال الكمال وظهرت عليه امارات السيادة والقيادة والوفاء والنجابة .

وقد استجاب النبى صلى الله عليه وسلم لطلبها بعد مشاوره اعمامه ، وموافقتهم على زواجه بها .

وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه ملهما موفقا فى موافقته على هذا الزواج الميمون ، فقد نظر الى مكانتها من قومها ، وموقفها فى عشيرتها وعفتها ، فتزوجها وبقي معها وعاشرها معاشرة الازواج الابرار ، الى أن بعثه الله نبيا ، وهاديا ، ومبشرا ونذيرا .

وقد صدق حدسه صلى الله عليه وسلم نبيا فكانت اول من استجاب له وآمن به من الرجال والنساء فصدقته وآزرته وكان لهذا التصديق أثره بين عشيرتها وقبيلتها ، ومكثت

أثره بين عشيرتها وقبيلتها ، ومكنت تؤازره ، وتنصره حتى
توفاه الله إلى رحمته بعد أن عاشرت النبي الأمي الرحيم معاشرة
الزوجات الباروات خمسة وعشرين عاماً .

وتوفيت بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين ،
وقد بلغت من العمر خمسة وستين عاماً .

أما زوجها النبي الكريم ، فلم يزل في مستوى العمر الطبيعي ،
وقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها ، ولا احب أحدا
مثل حبه لها ، وظل طول عمره ﷺ يذكرها ويكرم أصدقاءها
ومعارفها .

وقد رزق النبي منها بجميع أولاده الذكور والإناث ما عدا
إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها اليه المقوقس .

وأولاد النبي عليه الصلاة والسلام الذكور من خديجة رضي
الله عنها هم : القاسم ، العليب ، الطاهر .

وأما بناته منها فن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة
الزهراء والددة سيدي شباب الجنة الحسن والحسين رضي
الله عنهما .

وقد بلغت خديجة الكبرى المنزلة العظمى عند الله ورسوله ،
حق بلغ من منزلتها ان يأتيها جبريل بالسلام من ربها من فوق
سبع سماوات روي انه جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ
فقال له :

« اقرئ خديجة السلام من ربها » .

فقالت خديجة رضي الله عنها بعد أن بلغها السلام :

« الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام » .

وقد بشرها الله جل جلاله على لسان نبيه محمد ﷺ ، ببيت
في الجنة من قصب^(١) ، لا صخب^(٢) فيه ولا نصب^(٣) .

وورد عن الإمام علي رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « خير نساءها مريم بنت عمران ،

القصب : اللؤلؤ المجوف .

الصخب : الضوضاء .

النصب : التعب .

وخير نساءها خديجة بنت خويلد ، وأشار الراوي الى السماء والأرض ،

أخبره الشيخان الترمذي

هذه خديجة الكبرى ، توجتها رحمه الله يوم اقترانها برسوله الكريم ، ويوم ماتت ، ويوم تبعث حية في الجنة الخلد بقصرها المشيد .

عاشت حرة كريمة ، وماتت مؤمنة رحيمة .

أكرمها الرسول ﷺ وأحبها في حياتها ، وأعزها بعد مماتها حتى بلغ من حبه لها أن أكرم صديقاتها ومن يعز عليها من الرجال والنساء .

زارت النبي عليه الصلاة والسلام مرة عجوز في بيت عائشة رضي الله عنها فأكرم مثواها ، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، فلما انصرفت ، سأله عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها ﷺ انها كانت تزور خديجة .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ كان إذا ذبح الشاة قال : « ارسلوها إلى اصدقاء خديجة » فذكرت له يوماً فقال : « اني لأحب حبيبها » .

صلى الله عليك وسلم يا سيد الأوفياء والأصفياء ، ما أشد وفاءك وأعظم نفسك وشريعتك الغراء .

لقد احترمت المرأة بعد احتقار ، وعظمتها بعد استصغار وعلمتنا الوفاء معها والاخلاص لها حية زمينة ، وأبلغتها المنزلة التي لم تحلم الانسانية يوماً من الأيام ان ستبلغ فيها المرأة هذا المبلغ العظيم من التقدير والاحترام .

ورضى الله عن خديجة وارضاهها فقد كانت جديرة بهذا الوفاء والاحترام ، حرية بأن تنال مثل هذه المنزلة ، وتخلد في جنة النعيم . ومن أولى بهذا المقام العظيم من الطاهرة أم الطاهر خديجة الكبرى أم المؤمنين وعزيزة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها وأرضاهما وجعل الجنة مأواها .

سودة بنت زمعة

رضي الله عنها

بعد ان انتقلت خديجة الكبرى إلى جوار ربها ، تزوج النبي ﷺ بالسيدة « سودة بنت زمعة » أرملة السكران بن عمرو الانصاري . وهي من المؤمنات المهاجرات لأهلين في سبيل العقيدة الاسلامية المباركة ، وقد تحملت في سبيل الاسلام المشقات ، والمصاعب ، والمتاعب فهاجرت بدينها إلى الحبشة مع زوجها فأغضبت أهلها وعشيرتها بهذه الهجرة وهم أشداء أقوياء .

ولما عادت من هجرتها من الحبشة ، توفي زوجها إلى رحمة الله وكان من أنصار الرسول ﷺ الأبرار ، قوي في عقده ، حريص على اسلامه .

هاجر في سبيل الله بدينه مرتين إلى الحبشة ، ولما توفي رضي الله

عنه خلف من بعده زوجته البارة « سودة بنت زمعة » من غير ناصر ، ولا عائل ، ولا معين . تركها وحيدة في مكة المكرمة ، ولو عادت إلى أهلها - بعد موت زوجها - لعذبوها وفتنوها في دينها ، وربما قتلوها .

فلما سمع الرسول ﷺ بأمرها وعلم بحالها ، واستمسكها بإسلامها خشي عليها بطش أهلها ، وهم غلاظ الأكباد ، أعداء لله ورسوله .

فكفلها ﷺ . وهو المثل الأعلى للهمة ، والنجدة . والمروءة . وأرسل إليها النبي الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم يخطبها لنفسه ليجزيها على إسلامها ومصاها خيراً ، وينقذها مما وقعت به من المأزق الحرج .

وليتألف - بهذا النكاح - قومها بني عبد شمس أعداء الرسول ﷺ وأعداء بني هاشم .

والزواج بها هو خير ما يكافئها به على جهادها ، وإخلاصها ، ومصاها الأليم ، فتم له ﷺ ما أراد . فقد قابل الناس هذه الالتفاتة من الرسول الرحيم بالاعجاب والثناء ، وخفف قومها من غلوائهم في عداوة الرسول وخاصته ، وانقذت هي مما كان ينتظرها من الموت والهلاك .

ولو كان للرسول ﷺ شيء من المآرب الشهوية في زواجها، لاستعاض عنها - وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين سنة - بالنواهد الإبركار من العذارى من بنات قريش المؤمنات. ولكنه عليه الصلاة والسلام البر الكريم أسى من ذلك وأجل، وكل هم ﷺ كان منصرفاً لنجاح الدعوة، ودعم الدين وتقويته في قلوب الناس أجمعين.

وقد أسلم من قوم سودة كثير من الناس ودخلوا في دين الله أفواجا، إعجاباً بالدعوة الإسلامية، وإيقاناً بها، وحباً وإعجاباً بصاحب الدعوة ومروءته، وتقديراً لعظيم خلقه، وجميل وفائه، وعلو همته.

ومكثت «سودة» رضي الله عنها مع النبي عليه الصلاة والسلام زهاء خمس سنين إلى أن تزوج السيدة عائشة رضي الله عنها في السنة الأولى من الهجرة.

بعد أن توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة إلى رحمة ربها وذهبت راضية مرضية، رضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها.

عائشة الصديقة

رضي الله عنها

فقد النبي ﷺ بفقد عمه أبي طالب وزوجته خديجة الكبرى
ركنين قويين من أركان الدفاع عنه ، والنضال معه وفي سبيله
في وقت كان أشد ما يكون احتياجاً إليها .
وكاد يتضعض مركزه - لولا نصر الله له - وقال أعداء
النبي آنذاك : لقد افل نجم محمد أو كاد ، وانتهى أمره ،
وتربصوا به الدوائر ، فالتفت الرسول الأعظم بمنة ويسرة ،
وتطلع إلى السماء ، ينتظر الاهتمام من رب السماء ، لتثبيت
مركزه ، وتدعيم دعوته ، ودينه ، فاهتدى إلى الاتصال بقريش
اتصال مصاهرة ونسب ، ثم اختار من قريش أبا بكر الصديق
رضي الله عنه ، وامن من الناس يحل مكانة أبي بكر الرفيعة
بين قومه ؟ وقد كان فيهم ، صدراً ، عزيزاً ، شريفاً ، غنياً ،
براً قوياً ، عادلاً ، عالي الهمة ، قوي الشكيمة سامي المنزلة .

وكان اسلام أبي بكر من أول دلائل نجاح الدعوة الاسلامية، وقد ألقى الله حب أبي بكر في قلب الرسول ﷺ فأحبه الرسول حباً جماً حتى أصبح أحب الناس إليه هو وابنته عائشة الصديقة رضي الله عنها زوجة النبي البارة الطاهرة .

« روى البيهقي عن محمد بن عبيد عن اسماعيل بن أبي حازم قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل فجاء وقد ظهر^(١) . فقال يا رسول الله : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة .

قال لست أسألك عن النساء . قال ﷺ : أبوها أبو بكر . ولثقة النبي ﷺ بأبي بكر فقد استصحبه معه في أخرج المواقف ، وأشدّها ، وأدقّها ، في اليوم الفاصل بين الكفر والايمان ، والشرك والاسلام ، في يوم الهجرة النبوية ، وقد أنزل الله في هذه الصحبة المباركة الطاهرة قوله تعالى : « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

روى البيهقي عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحداً منكم نظر في قدميه

(١) ظهر : اي انتصر .

لابصرنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله عز وجل ثالثهما ؟
أراد النبي عليه الصلاة والسلام ان يوثق عرى هذه المحبة
العظيمة ، وهذه الصعبة الكريمة ، برباط المصاهرة الوثيق ،
وهو أقود وأمتن رباط .

فتزوج من ابنة أبي بكر الصديق ، وأكرم بهذا الزواج
صاحبه الوفي الأمين ، الذي صدقه يوم كذبه الناس ، وآمن به
يوم كفر به الناس .

عن ابن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ : دعوا لي صاحبي :
اني بعثت وقال الناس كلهم : كذبت ، وقال لي : صدقت . يعني
أبا بكر رضي الله عنه . لقد شرف الرسول أبا بكر بهذه
المصاهرة واتصل بقوم الصديق وعشيرته ، فكان هذا الاتصال
مدعاة لتنافس القبائل والعشائر ، والتسابق الى الاسلام ونبي
الاسلام .

وحكمة اتصال الرسول ﷺ بكبار صحابته ، صناديد
الاسلام ، ودعائم الايمان والجهاد في سبيل الله ومن سيجملون
اعباء الدين والقيادة من بعده ، هذه الحكمة لا يمكن أن تخفى
على ذي عينين بصيرتين ، ينظر منها بمنظار الحق والعدل ،

والانصاف ، فبرى ما وراء هذا الاتصال من الحكمة العالية
والنظرة البعيدة العميقة السديدة السامية .

خطب الرسول الحكيم عائشة لنفسه ، فاستبشر الصديق
بهذه الخطبة وبادر بالموافقة عليها وقلبه الكبير يطفح بالبشر
والسرور ، وعقد الرسول ﷺ عليها ، وهي قاصر بعد ، ولم
تكن آنذاك ، محلا ، ولا أهلا لقضاء شيء من المآرب الشهوية
حتى يميل إليها نظر النبي وقلبه ، ولكنه عليه السلام أبصر
الحكمة ، ونظر السداد والرشاد في هذا العقد ، فعقد عليها ،
وبعد سنتين أو ثلاث - على اختلاف في الرواية - تزوجها
ودخل بها في شوال من السنة الثانية للهجرة . وهي البكر
الغذراء الوحيدة من بين جميع نسائه اللائي دخل بهن عليه
الصلاة والسلام وكانت رضي الله عنها أحب أزواجه إليه ،
وأعلمهن بسنته ، وهي أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن لحديث
سيد المرسلين .

ومن عرف تاريخ هذه الزوجة البارة الحكيمة ، أم المؤمنين
وقرينة الرسول الأمين ، من عرف تاريخها المفصل أخذه العجب
العجاب ، لذكائها ، وفطنتها ، ونبوغها ، وعبقريتها ، وعلمها ،
وفقها ، وسمو خلقها .

شيء مما ورد
في عائشة الصديقة
رضي الله عنها

فقد كانت رضي الله عنها ، بحراً
زاخراً في الدين ، وخزانة حكمة
وتشريع ، وكانت مدرسة قائمة
بذاتها ، حيثما سارت يسير في ركبها
العلم والفضل والتقوى ، وبلغ من منزلتها
أن يقول الرسول ﷺ للناس -
في ذلك الزمن - وهم من هم علماء
وفضلاء وفقهاء ودينا .

« خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ثم بلغ من منزلتها
انه يأتيها جبريل بالسلام .

ورد عنها رضي عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : يا
عائشة هذا جبريل يقرئك السلام : فقلت : وعليه السلام ورحمة
الله وبركاته ، قالت : وهو يرى ما لا أرى . أخرجه الخمسة .
ورد عن الامام علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله
ﷺ : خير نساءها مريم بنت عمران . وخير نساءها خديجة
بنت خويلد . وأشار الراوي - وهو وكيع بن الجراح - إلى
السماء والأرض . أخرجه الشيخان والترمذي وزاد رزين في
رواية : قال ﷺ : كمل من الرجال كثيراً ولم يكمل من النساء

إلا مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

ومما يشهد بفضلها وبجر علمها الزاخر ما ورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً . أخرجه الترمذي وصححه .

وما ورد عن الزهري رضي الله عنه قال : لو جمع علم عائشة إلى جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة :

وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة .

وكان النبي ﷺ يقول : رحم الله أبا بكر زوجني ابنته ، وحملني إلى دار الهجرة وعنتي بلائاً من ماله .

شيء مما ورد في
أبيها أبي بكر
رضي الله عنه

وروى البيهقي عن جابر قال كنت مع رسول الله ﷺ فسمعتة يقول : يطلع علينا من هذا الفج « الطريق » رجل من أهل الجنة، فطلع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع عمر رضي الله عنه ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة اللهم أجعله علياً فطلع علي رضي الله عنه .

وعن ابن عباس قال أبو بكر : يا رسول الله ما أحسن هذه الآية ، قال : أيتها ؟ قال قوله تبارك وتعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فقال : يا أبا بكر ان الملك سيقولها لك .

وقيل انه لما اسلم والد أبي بكر قحافة لم يعلم أبو بكر رضي الله عنه باسلامه حتى دخل النبي ﷺ فقال ألا أبشرك يا أبا بكر بما يسرك .

قال : مثلك يا رسول الله من يبشر بالخير فما هي . قال أسلم أبو قحافة قال :

يا رسول الله لو بشرتني باسلام أبي طالب كان أقر لعيني فانه أقر لعينك فبكى رسول الله ﷺ حتى علا بكأؤه جزعاً لما فاتته من اسلام أبي طالب .

وقال : رحمك الله يا أبا بكر

رحمك الله يا أبا بكر

« ثلاثاً »

رحمك الله يا أبا بكر

وروى البيهقي في كتاب المحاسن والمساوي عن عطاء عن أبي الدرداء أنه مشى بين يدي أبي بكر رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : أتمشي بين يدي من هو خير منك ، ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر .

وفي نفس المصدر عن الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ممن مضى وبقي إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي ..

وعن الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه .

قال رسول الله ﷺ : « يا علي هل تحب الشيخين ؟ - يعني أبا بكر وعمر - قلت : نعم يا رسول الله ، قال : لا يجتمع حبك وحبها إلا في قلب مؤمن .

ومن كانت هذه منزلته في قلب سيد المرسلين ونفسه وروحه فمن أولى بمصاهرة النبي ﷺ منه رضي الله عنه وأرضاه وخلاصة القول ، ان مصاهرة النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم لأول أصحابه وأول مصدقيه ، واعلام قدرأ وأكثرهم اخلاصاً ، وتضحية ، في سبيل الله ورسوله ، على ما كان بينهما من مودة وإخلاص قبل الاسلام هذه المصاهرة كانت مكافأة لهذا الصاحب الوفي الأمين ، وهذا المجاهد البطل الكريم الذي حمل اعباء الرسالة من بعد الرسول العظيم محمد ﷺ ، فكان خير خلف لخير سلف ، وكانت ابنته البارة أم المؤمنين عائشة المبرأة الصديقة الزوجة المثالية ، التي جعل الله بينها وبين النبي الكريم مودة ورحمة ، فأحبها الرسول وأكرمها وعاشرها بالمعروف ، وأخلصت هي لسيدها وزوجها العظيم ، واطاعته وصدقته ، وحملت عنه بامانة وإخلاص كثيراً من أحكام الشريعة الخالدة ونشرتها ، وأذاعتها بين الناس خاصة الأحكام النسوية والقضايا التربوية ، والمسائل البيتية .

ومات الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو عنها راض ، ولها داع ، حتى مات عندها ﷺ ودفن في حجرتها رضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها .

حفصة بنت عمر بن الخطاب

رضي الله عنها

ثم تزوج النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بأم المؤمنين « حفصة بنت عمر الفاروق » وهي أرملة خنيس بن حذافة الانصاري .

والحكمة التي دعت الرسول الرحيم ، ان يتزوج من أجلها السيدة عائشة ، هي نفس الحكمة التي من أجلها تزوج النبي بالسيدة حفصة ، بنت بطل العرب ، وسلطان المسلمين العادل ، وخليفة رسول الله الأمين ، والعبقري الذي « لم ير الرسول ﷺ عبقرياً من الناس يفري فريه (١) » .

(١) فرى الجلد : قطعه ليصلحه . وفرى الفرى أتى بالمعجب . والمعنى ان عمر عبقري متفرد في عمله فلا يقدر أحد على ان يصنع مثل صنيعه .
العقاد

قال النبي عليه الصلاة والسلام : بينهما أنا نائم إذ رأيتني على قلب « أي بشر » وعليها دلو فنزعت ما شاء الله ثم أخذها مني أبو بكر فنزع منها ذنوباً « أي دلوأ » أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله عز وجل يغفر له ، ثم أخذها عمر فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بطعن^(١) .

هذا العبقرى الخالد الذي كان الله عز وجل عند لسانه ويده ، وقد أعز الله به الإسلام ، وجعل منه الرجل الذي يهز الدنيا إذا نطق ، ويقيمها ويقعدها ، إذا تحرك وانطلق في الحق حتى أصبح غرة ناصعة في جبين الدهر :

وكيف لا يصبح كذلك وهو السراج الوهاج ، الذي كان نوراً لهذه الأمة وسراجاً لأهل الجنة ، وقد تباشرت بإسلامه ملائكة الرحمن .

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما « عن النبي ﷺ قال : جاءني جبريل عليه السلام حين أسلم عمر رحمه الله فقال لي : تباشرت الملائكة بإسلام عمر ، وعمر سراج أهل الجنة .

(١) الطعن : مربوط الابل حول الماء .

اتصل النبي الكريم بهذا العبقري الفذ اتصال مصاهرة ، فكان هذا الاتصال خير مكافأة لبطل الاسلام وخليفة الرسول الثاني ، وقد ساءى عليه السلام بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة . فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما من الرسول عليه السلام بمكان السمع والبصر . روى البيهقي قال : « قال عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى أيدني من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبي بكر وعمر ، ورآهما مقبلين فقال هذان السمع والبصر . . »

وروى عن عمر رضي الله عنه قال دخل رسول الله عليه السلام المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هكذا نبعث يوم القيامة » .

وبتمكين الاتصال بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تم اتصال الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، بكبار رجاله ، وعظماء وزرائه ، وأصفيائه ، الذين حملوا لواء الدين ، والجهاد ، والدعوة من بعده ، صلوات الله وسلامه عليه وساروا سيرته في المسلمين ، فكانه عليه السلام ، أعدم أعداداً ، وهيام لحمل الرسالة من بعده ، فخرجهم من مدرسته العظيمة ، ورباهم بتربيته الالهية الحكيمة ، وجعلهم الأقربين منه وإليه ، فتزوج

عائشة بنت أبي بكر ، ولم يكتف بالصدقة الوثيقة بينه وبين والدها .

ثم تزوج حفصة بنت عمر ليزيد في الصلة والقربة . وزوج ابنته العزيزة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ابن عمه بطل الاسلام الهمام علي كرم الله وجهه ولم يكتف عليه السلام بقربته منه ، بل زاد هذه القربة وثوقاً ، ومثانة وقوة ، بهذا الزواج الكريم .

وزوج الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بنتيه ، رقية ، وأم كلثوم . الواحدة بعد وفاة الأخرى .

ولو كان عند النبي عليه السلام ابنة ثالثة لزوجها لعثمان أيضاً ، لمكانته العظيمة في الاسلام ، وتضحياته الجسام في سبيل هذا الدين العظيم ، ولتمكن حب عثمان في قلب النبي عليه السلام .

ولكل زواج حكمة خاصة ، ومن اطلع بتفصيل على ظروف وملابسات كل زواج ، علم الغاية العظمى التي رمى اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام من هذا الزواج الكريم .

أما ظروف زواج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، فقد كانت رحماً الله متزوجة ، وزوجها من أشد أنصار الرسول عليه السلام المؤمنين والمتبعين لهده .

قاتل في سبيل الله ، حتى استشهد صابراً ، محتسباً ، مقبلاً
غير مدبر ، فلبت روحه نداء ربها ، وكان ذلك في غزوة بدر
فقد قاتل فيها قتال الأبطال ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، وهو من
الفوارس الذين ضربت بهم الأمثال ، وقد سجل له التاريخ
الاسلامي المجيد ، صفحة من صفحات المجد ، والبطولة ،
والرجولة ، والجهاد ، فكان رضي الله عنه ، كلما أصيب يجرح
ضده ، وعاد إلى القتال ، مرة أخرى وهكذا دواليك حتى
مزقت النبال جسده ، فخارت قواه ، فخر صريعاً ، مليئاً ،
نداء ربه ، تاركاً وراءه أرملته المنكوبة بفقدته ، والمجاهدة في
سبيل الله فقد كانت في ميدان القتال ، تسعف الجرحى ، وتضمّد
جراحهم ، وتروي بالماء غليلهم ، وربما ضمدت جروح زوجها
الذي له في قلبها ، ما في قلب الزوجة المؤمنة الصالحة لزوجها
أكبار وحب واحترام - ووارثه في قبره الطاهر ، وفي نفسها
ما فيها من الحسرات والزفريات ، وقد حزنّت لوفاة زوجها
وإصابتها الآلام ، والأوصاب وخيمت عليها المآسي والأحزان .
فلما علم الرسول الأمين بحالها ، رق لهذا الحال ، وتولى مواساتها
بنفسه الشريفة ﷺ ، فخطبها لنفسه ، وتزوجها . إكراماً
لزوجها الشهيد ، وتعويضاً لها عما أصابها في سبيل الله ، ومكافأة
لأبيها الكريم وأي جزاء وتشريف ، خير من هذا الجزاء الأوفى .

ولم تكن رضي الله عنها ، مع ضعفها وحالتها المحزنة ، ذات بهاء وجمال . ولا ناهدة عذراء ، بل تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، وهي أرملة ، وكان الرسول آنذاك قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره المبارك ﷺ .

وزواج النبي بهذه المرأة دليل آخر من أدلة زهده ﷺ في الدنيا ، وأعراضه عن متاعها ، ومباهجها الخلابية .

ودليل أيضاً على دأبه المتواصل في سبيل خدمة الدين ، ومثل صالح ناطق بحسن سياسته ، وكياسته ، ﷺ .

وبالله عليكم أيها القارئ المنصف ، أي سلطان للشهوة في مثل هذا الزواج الذي إن دل على شيء فإنما يدل على البر والرحمة ، وبعد النظر وثاقب الفكر ، وسمو الخلق ؟

ولا غرابة من هذه السجايا ، فهي سجايا محمد ﷺ وكفى بها عظيمة وخلوداً . صلى الله عليه ورضي عن أم المؤمنين حفصة وسائر أزواجه الطاهرات .

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

بعد تزوجه ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة .

وهي المؤمنة البارة، الصالحة التقية ، المجاهدة في سبيل الله، الصابرة في البأساء والضراء .

وكان زوجها من أبطال « بدر » الافذاذ الذين حفظ لنا التاريخ ، عظمة استبسالهم وجهادهم ، وتضحيتهم في سبيل الله حتى جاد بنفسه وهو أقصى غاية الجود فمات شهيداً سعيداً .

وهو البطل المقدام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد صمد للأعداء ، وكافح كفاح المؤمنين الصابرين ، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

روى أنه بدأت المبارزة في وقعة بدر بين علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه والوليد بن عتبة المشرك ، وبين حمزة بن عبد
 المطلب عم النبي ﷺ ، وشيبة بن ربيعة عم الوليد ، فقتل
 بطل الاسلام علي بن أبي طالب مبارزة المشرك الوليد ، وقتل
 حمزة شهيد الاسلام والمجاهد الأول ، مبارزة شيبة بن ربيعة ،
 واختلف عبيدة بن الحارث ومبارزة عتبة بن ربيعة أخي شيبة
 بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فرماه ، فكرر الامامان علي ،
 وحمزة ، باسيافهما على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة الجريح إلى
 النبي ﷺ فوضع خده على ركة الرسول عليه الصلاة والسلام
 ثم رفع بصره ليودع حبيبه الأكبر محمد المصطفى بنظراته
 الأخيرة ، ولم يخطر بباله حينذاك رضي الله عنه أن يسأل عن
 أهله وعشيرته ، ولا عن جرحه وألمه ولا عن أي شيء آخر في
 الدنيا ، وهو يودعها الوداع الأخير ولكنه سأل حبيبه بقوله :
 ألسنت شهيداً يا رسول الله ؟ فأجابته النبي الأعظم ، الذي لا
 ينطق عن الهوى ، بتملك البشرى السعيدة التي اصطحبها معه
 إلى جنة الفردوس « أشهد إنك شهيد » .

وهذه المرأة « زينب بنت خزيمة » كانت زوجة لهذا البطل
 الشهيد وكانت حين استشهد زوجها تقوم بواجبها الاسلامي

تجاه اخوتها في الله من المجاهدين ، ولم يلهمها استشهاد زوجها ،
عن القيام بواجبها ، والاستمرار في عملها ، والمضي في جهادها ،
حتى كتب الله النصر للمسلمين في تلك الموقعة الكبرى .

ولما علم المصطفى عليه الصلاة والسلام بحالها ، واستبسالها ،
وصبرها وثباتها ، وانه لم يعد هناك من يعولها ، ويدود عنها
ويحميها . أراد الرسول ﷺ أن يحزبها على اسلامها ، وجهادها ،
وصبرها ، ومصائبها ، خيراً ، فخطبها لنفسه وآواها اليه وجبر
خاطرهما ، بعد ان انقطع عنها الناصر والمعين ، وكافأ زوجها
وهو في قبره .

وكانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ .
ولم تعمّر عند النبي الكريم سوى عامين ، ثم توفاه الله اليه
راضية مرضية .

فما رأي الخـ عين بهذا الزواج الشريف ، وغايته النبيلة .
وهل يحزنون فيه شيئاً مما يأفك الأفاكون ؟

أيجدون فيه أثراً للهوى والشهوة ؟ أم هو النبل ، والعفاف ،
والعظمة والرحمة ، والفضل والاحسان ، من رسول الانسانية

الأكبر الذي جاء رحمة للعالمين ونوراً للناس أجمعين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فليتق الله المستشرقون المفرضون وليؤدوا أمانة العلم ولا يخونوها في سبيل غايات خبيثة ، استشرقوا ، ودرسوا العلوم الاسلامية خاصة للدس ، والكيد والنيل من سيد الانسانية ﷺ .

ولقد طاشت سهامهم ، وخابت آمالهم وأحلامهم ، فرسول الرحمة أجلّ من ان يناله شيء مما يقول المرجفون ، إن يقولون إلا كذباً وظناً . وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

« أم سلمة »

هند بنت أبي أمية

« المخزومية » رضي الله عنها

وتزوج النبي الأمين ﷺ بأم سلمة واسمها « هند بنت أبي أمية » وقد حفظ التاريخ الاسلامي لهذه المرأة ذكراً مجيداً ، إذ كانت من شهيرات المؤمنات ، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد ، ولها حصافة في العقل ، وسداد في الرأي . لاقت في سبيل إسلامها الأهوال ، وما جزعت ، وما زادت الصدمات إلا إيماناً وثبیتاً .

رافقت زوجها « أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد » في هجرته إلى الحبشة فراراً بدينها . وزوجها هذا هو ابن عمه النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة وقد لاقى هذا المجاهد البطل الشدائد والنوائب ، فما وهن لما أصابه في سبيل الله ولا ضعف ، ولا استكان ، وأبلى في غزوة أحد بلاء حسناً ، وقاتل قتال المخلصين

المتعشقين إلى الموت ، حتى أصيب بجراح دامية . ولما عوفي من جرحه هذا ، عقد له النبي ﷺ لواء لقتال بني أسد ، فقاتل وكافح حتى عاودته جراحه واشتد عليه ألمه ، ولزم فراشه ، وقد عاده النبي ﷺ وكان إذ ذاك يحتضر ، فمكث النبي بجواره حتى أغمض عينيه بيده الشريفة ، ودعا له بالجنة ثم عزى أم سلمة وربت على أكتاف أيتامها الأربعة : برة ، وسامة ، وعمرة ، ودرة .

يروى عنها رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيسترجع ويقول : « اللهم أجبرني في مصيبتى واخلفني خيراً منها ، إلا أخلف الله له خيراً منها » .

فلما مات أبو سلمة زوجها ، وكانت تجله أيما اجلال تذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت في نفسها : من خير من أبي سلمة ؟! رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولكنها استرجعت وقالت ما أوصى به الرسول الكريم ، فأخلف الله لها خيراً من مصائبها ، وأكرمها برسول الله ﷺ .

إذ ان المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد انقضاء عدتها

أرسل اليها وطيب خاطرها ، وآواها اليه ، وخطبها لنفسه ،
اشفاقاً عليها ، ورحمة بأيتامها أبناء وبنات أخيه من الرضاعة
واكراماً لأخيه الشهيد لثلاث تذل زوجته وأولاده من بعده

ولما أرسل النبي ﷺ يخطبها اعتذرت اليه وقالت : « اني
مسنة ، واني أم أيتام ، واني شديدة الغيرة » .

فأجابها عليه الصلاة والسلام وأرسل لها رسوله بقوله :
الأيتام أضمرهم الي ، وأدعو الله ان يذهب عن قلبك الغيرة ، ولم
يعباً بالسن فتزوجها ﷺ بعد موافقتها وقام على تربية أيتامها
ووسمهم قلبه الكبير : حتى أصبحوا لا يشعرون بفقد الأب ،
إذ عوضهم أباً أرحم من أبيهم ، وسيداً أبر من سيدهم ، انه
الرسول الرحيم ﷺ وكفى به سيداً ورحيماً .

فقولوا أيها الشباب بربكم للداسين المنافقين ، ماذا تقولون
عن هذا الزواج ؟ وما الذي يحمله في طياته . أليس فيه أروع
مثل للنجدة ، والشهامة ، والمروءة والوفاء ؟ وهذا أقل ما
كان يتصف به سيد الكائنات رسول الله وحبيبه محمد ﷺ .

ولو كان النبي الأمين راغباً في اللذة والشهوة - وحاشاه ثم
حاشاه ألف ألف مرة - فما أوسع ميدانها أمامه ، وما كان

أغناه عن مثل هذا الزواج ، بمثل هذه الأرملة ذات الأيتام
الأربعة . وما أكثر الكواعب الأتراب ، والناهدات الأبقار ،
ولكنه الوفاء ونبل الغاية تدفعانه ﷺ لأن يتزوج مثل هذا
الزواج الانساني العظيم الذي وصل به رحمها ، ووفى بحق أخيه
من الرضاعة . وضرب أروع مثل للنجدة والمروءة والوفاء .
والكمال الانساني ، فصلى الله على هذا الرسول الكريم ، البر
الرحيم والمثل الكامل في الوجود البشري العام .

جعلنا الله من المهتدين بهديه . المقتفين لسنته ، والآخذين
بما آتانا من ربه ، والمنتهين عما نهانا عنه .

ورضى الله عن أم سلمة ، أم المؤمنين ، وعلى جميع أزواجه
وذريته ، وعشيرته الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

زينب بنت جحش

« الأسدية » رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة
« زينب بنت جحش الأسدية » ابنة عمته ، أميمة بنت عبد
المطلب ومطلقة دعيه ومتبناه ، ومعتوقه ، زيد بن حارثة بن
شراحيل .

وقد كان لهذا الزواج شأن عظيم عند الناس ، ففي هذا
الزواج ساوى الاسلام بين الحر والعبد ، ولم يعد العبد يشمر
بعبوديته ، ولا الرقيق برقه ، وقضي على الخيلاء والكبرياء ،
إذ أن العرب كانوا يأنفون من أن يختلطوا بأدعيائهم ، اختلاط
مصاهرة أو نسب ، وفي هذا الزواج قضى الاسلام على بدعة
التبني ، إذ كان الرجل منهم يتبنى له ولداً لم يكن من صلبه ،

فيتخذ ابنه ، ويعطيه حقوق النبوة المطلقة . فيرث ويورث
ولا يتزوج زوجته من بعده ولا يؤثر أحداً عليه .

فجاء الاسلام العظيم بتغيير هذه العادة ، وجاء بالمساواة
بين الناس .

فالرسول العربي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه ، يزوج
غلامه ودعيه « زيداً » بابنة عمته العربية الهاشمية ولا يرى في
ذلك بأساً ، إذ ان الاسلام قد ساوى بينهما ، والرسول الكريم
حقق هذه المساواة بصورة عملية ، وبرهن للعالم على سماح الاسلام
وعدله ، والحرية والمساواة فيه .

ثبت أن النبي ﷺ حينما عرض الزواج على ابنة عمته زينب
بزيد غلامه ، تأبى زينب ، ورفضت الزواج به ، اعتزازاً
بنسبها ، واستصغاراً لشأن زيد ، وأيدها في هذا الرفض أخوها
عبدالله ، بعد هذا نزل الحكيم من رب السماء ، ولا راد لما قضى
الله به وحكم ، وحكه تبارك وتعالى هو انفاذ هذا الزواج ،
نزلت الآية الكريمة بعد ان ذهب النبي ﷺ الى زينب فقال لها :
« إني أريد أن ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيتك لك » .

فقالت : يا رسول الله لكفي لا أرضاه لنفسي ، وأنا أيم
قومي وبنت عمته فلم أكن لأفعل .

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ ، إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ صِلَ ضَلَالًا مُبِينًا » بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَتْ زَيْنَبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : قَدْ أَطْعَمْتُكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . فَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمَ إِلَى زَيْدٍ وَدَخَلَ بِهَا زَيْدٌ وَهُوَ فَرِحَ مَسْرُورٌ ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ يَلْقَى مِنْهَا الْمَتَاعَ ، إِذْ كَانَتْ تَغْلُظُ لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَتَتَعَظَّمُ عَلَيْهِ بِشَرَفِهَا وَحُسْبِهَا ، حَتَّى عَاقَبَهَا نَفْسُهُ وَضَجَرَ مِنْهَا فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَاكِيًا مِنْهَا ، وَطَالِبًا مُوَافَقَةَ النَّبِيِّ عَلَى طَلَاقِهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ طَلَاقِهَا وَمُفَارَقَتِهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ بِالتَّزْوِجِ بِهَا بَعْدَ طَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا إِبْطَالًا لِبِدْعَةِ التَّبْنِيِّ ، إِذْ أَنَّ امْرَأَةَ الْمُتَبْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ لَا يَحُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا الرَّجُلُ الَّذِي اتَّخَذَ زَوْجَهَا ابْنًا لَهُ ، فَحَكَهُ عَنْهُمْ كَحُكْمِ الْوَلَدِ الْحَقِيقِيِّ وَالرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ قَدْ اتَّخَذَ زَيْدًا ابْنًا لَهُ عَلَى عَادَتِهِمْ وَزَوْجَهُ مِنْ قَرِيبَتِهِ زَيْنَبَ ثُمَّ افْتَرَقَا فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِتَزْوِجِ زَيْنَبَ مِنْ بَعْدِ طَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا لِيَبْطُلَ حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤَسَّسَ حُكْمُ الْإِسْلَامِ .

زيد

وقصة تبنيه

أود ان أقف هنا قليلاً لأبين قصة
زيد ، وحالة تبني الرسول ﷺ له ،
ثم قصة تفضيله للنبي علي والده
وذويه ، حين خيره الرسول بين أن
يبقى عنده أو أن يلحق بوالده وأهله .

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن زيدا كان في أخواله
بني مومن من بني ثعل من طي ، فأصيب في نهب ، وجيء به إلى
سوق عكاظ ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ
يتسوق بها ، وكانت عمته خديجة بنت خويلد قد أوصته ان
يشترى لها غلاماً ظريفاً عربياً ان وجدته .

فلما قدم وجد زيدا يباع فيها ، فأعجبه ظرفه وأدبه
فابتاعه ، وقدم به على خديجة وقال لها : اني ابتعت الغلام الذي
أوصيتني به . فان أعجبك فخذي به وإلا فدعيه لي فانه قد
أعجبني . فلما رآته خديجة أعجبتها وأخذته .

ثم تزوجها النبي ﷺ وهو عندها ، فأعجب النبي ﷺ ظرفه
وأدبه ، فاستوهبها إياه . قالت : أهبيه لك على أن الولاء لي
إن عتق ، فأبى عليه السلام قبوله على هذا . فوهبته له ان

شام اعتق وان شاء أمسك والولاء له . فشب عند النبي ﷺ
 يتوفر على خدمته ويذهب في حاجته إلى الأسواق . ثم انه
 خرج مرة في ابل لأبي طالب بارض الشام فمر بأرض قومه ،
 فعرفه عمه فقام اليه . فقال : من انت يا غلام ، قال : غلام من أهل
 مكة قال : من أنفسهم ؟ قال : لا . قال : فحر انت أم مملوك ؟
 قال : بل مملوك ، قال : لمن ؟ قال : لمحمد بن عبدالله بن عبد المطلب .
 فقال له : أعربي أنت أم عجمي ؟ قال : عربي . قال : ممن أصلك ؟
 قال : من كلب . قال : من أي كلب ؟ قال : من بني عبدود . قال :
 ويحك ، ابن من أنت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل . قال : وأين
 اصبت ؟ قال : في أخوالي . قال : ومن أخوالك ؟ قال : طي . قال :
 ما اسم أمك ؟ قال : سعدى ، فالتزمه : وقال : أنت ابن حارثة ودعا
 أباه ، فقال : يا حارثة هذا ابنك . فأناه فلما نظر اليه عرفه .
 قال : كيف صنع مولاك اليك . قال : يؤثرني على أهله وولده ،
 فركب معه أبوه ، وعمه ، وأخوه وقدموا مكة ، فلقوا رسول
 الله ﷺ فقال له حارثة : يا محمد انتم أهل حرم الله وجيرانه ،
 وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير ، ابني عندك فامنن
 علينا وأحسن البنا في فدائه فانك ابن سيد قومه وإنا لنرفع
 اليك في الفداء ما أحببت . فقال رسول الله ﷺ : أعطيك خيراً

من ذلك، قالوا: وما هو؟ فقال: أخيره فان اختاركم فخذوه بغير فداء وان اختارني فكفوا عنه ، فقالوا :جزاك الله خيراً، فقد أحسنت . فدعاه رسول الله ﷺ فقال : يا زيد أتعرف هؤلاء؟ قال :نعم ، هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي . فقال عليه الصلاة والسلام : فهم من قد عرفتهم . فان اخترتهم فاذهب معهم وان اخترتني فأنا من تعلم . فقال زيد: ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً . أنت مني بمكان الأب والعم . قال أبوه وعمه : يا زيد أختار العبودية ! قال : ما أنا بمفارق هذا الرجل . فلما رأى رسول الله ﷺ حرصه عليه قال : اشهدوا انه حر وانه ابني يرثني وأرثه ، فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد على النبي ﷺ .

ثم انصرفوا تاركين زيدا عند النبي صلوات الله وسلامه عليه، ومكث زيد يدعى زيد بن محمد طوال بقائه مع الرسول ﷺ حتى نزل قوله تعالى: « ادعوم لأبائهم » فدعى زيد بن حارثة . وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: « ادعوم لأبائهم » فقال النبي ﷺ أنت « زيد بن حارثة بن شراحبيل » بعد هذا الأمر

الإلهي ، تألم قلب زيد لهذا النبأ وانخلع له فؤاده ، وإن كان قد قبل الأمر الإلهي راضياً مطمئناً ، ولكنه شعر بالوحشة ، وأحس بالغربة إذ كان ينتسب إلى أكرم مخلوق ، وأشرف مبعوث ، وأحسب العرب ، واعلام نسباً ، إذا به يؤمر بأن يرجع إلى نسبه الأول ، فما كان محمد ﷺ أبا أحد من الرجال ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين .

ولكن النبي الرحيم علم بحالة زيد النفسية ، وزيد مولاه المخلص الأمين ، والوفي الكريم ، فالتفت إليه . وزوجه ابنة عمته زينب الشريفة الحسبية فجبر خاطره ، وساواه - كما قلنا - بأشرف الرجال ، واسماهم قدراً . وعلم الناس أن الكفاءة إنما هي في الدين والتقوى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » وإن صلة الإسلام فوق كل صلة . مهما قربت تلك الصلة ، وصلة الإسلام هي التي تسوي بين الحر والعبد ، والسيد والمسود ، والرئيس والمرؤوس . وإنما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك بأمر من الله ، ووحى من رب السماء ، في شأن هذا الزواج كله . فالله سبحانه وتعالى قد أعلم رسوله بالأمر وهو أن يبدأ سيطلق زينب وأنه ﷺ سيتزوجها من بعده ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خجل من هذا الأمر فاحتفظ به

وخشي من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبيهم عليه وعلى المسلمين بقولهم . تزوج محمد زوجة ابنه بعد نفيه عن حلائل الأبناء كما كان ، فعاتبه الله على هذا ونزوه عن الالتفات اليهم فيما أحله له فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه قوله : « وإذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه . أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه . وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ، إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ، .

فقوله تعالى : « زوجناكها » نص في ان هذا الزواج كان بأمر من الله تعالى لما ذكر فيه من حكمة التشريع ولم يكن برغبة النبي ﷺ ولا بميله ، كما يقول بعض المرجفين - أعداء الله - في هذا الزواج .

ثم قوله تعالى : « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » تصريح ونص واضح بعلّة تزوج النبي بها ، أي لأجل ان لا يجد أحد المؤمنين في نفسه أدنى ضيق صدر ولا مبالاة بلوم في التزوج بنساء أدعيائهم بالتبني . وكفى برسول الله ﷺ قدوة في ذلك ، كما قال المرحوم السيد محمد رشيد رضا .

وقد روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :
لو كان النبي ﷺ كاتباً شيئاً من الوحي ، لكتب هذه الآية .

« وإذ تقول للذي أنعم الله عليه - أي بالاسلام - وأنعمت
عليه - يعني - بالعتق - امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي
في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ،
إلى قوله وكان أمر الله مفعولاً ، ولما تزوج بها الرسول ﷺ
قالوا : تزوج حليمة ابنه . فانزل الله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

وحاشا لرسول الله أن يكتب شيئاً مما أنزل إليه وهو الصادق
الأمين ، والنبي الطاهر الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

هذه هي قصة زيد وزينب بنت جحش . التي اتخذ منها
أعداء الاسلام تكأة للطعن بالاسلام ونبي الاسلام وقد تبادى
عداء الدين في غيهم وعتوهم ، وأطلقوا لأنفسهم العنان فطعنوا ،
وجرحوا ، واكثروا من اللغو والبهتان .

واتهموا النبي الأعظم ﷺ زوراً ، وبهتاناً ، وضلالاً ،
بالشهوة والميل إلى النساء .

وقالوا في هذا الزواج قولتهم المنكرة إذ زعموا أن النبي
ﷺ رأى زينب وزيد غائب ، فوقع في نفسه وأعجبته ،

فأمر مولاه زيد بأن يطلقها ليتزوجها هو من بعده ، هذا ما يقوله المنافقون والدساسون ونستغفر الله مما يقولون . ان يقولون إلا كذباً وزوراً ، ألا يعلم أوائك الجاهلون - أو المتجاهلون - انه لو كان للجمال سلطان على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام لكان أقوى سلطان عليه جمال البكر في روائه ، ونقائه ، وبهائه .

وقد كان ﷺ يراها ، وتراه منذ الصغر ، ولم يكن بينها وبينه حجاب ، ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة وهي ابنة عمته القريبة ربيت وإياه في أسرة واحدة ، ونبت أصلها من شجرة مباركة واحدة .

قال الامام أبو بكر بن العربي رداً على قول من قال : إن النبي ﷺ رأى زينب بعد ان تزوج بها زيد فوقع منها في قلبه شيء ، إنه باطل لا يصح النظر اليه فانه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن هناك حجاب يمنعها منه فكيف تنشأ معه ، وينشأ معها ، وينظرها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها ، وكرهت غيره ، فلم يخطر ذلك بباله ، فكيف ، يتجدد الهوى بعد العدم ؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة .

ونفس الرسول الأعظم أجل ، وأكبر ، وأسمى ، من أن
 يعلق بها شيء من هذا الوضر ، الذي يخرج من أفواه المرجفين .
 وتاريخ الرسول ﷺ معروف بين قومه وحتى عند خصومه .
 فهو الصادق الأمين ، والطاهر الزكي ، الذي لم تعرف عنه علاقة
 فاسدة قط قبل النبوة . فكيف به وهو نبي مرسل ، وزوج
 كريم ، وأب رحيم ، بل لم يعرف عنه لهو باطل في حالة شبابه
 وصباه ، إذ إن الله أدبه فأحسن تأديبه فقال فيه وهو أصدق
 القائلين : « وإليك لعلى خلق عظيم » فهل بعد هذا قول لقائل ؟
 وأي عقل يسوغ أن يحدث مثل هذه العلاقة المنكرة ، من
 مثل منقذ البشرية ، ومصلح الإنسانية وباعث الفضيلة من
 مرقدها ، وناسر لواء العدل والحق ، والخلق ، محمد ﷺ ،
 هادي الخلق إلى الحق ؟

إن العقول السليمة ، تنضي قطعاً ببطلان ما يقول الخراصون
 إن يقولون إلا كذباً وزوراً ، وليس في قولهم إلا ما يرد كيدهم
 في نخورهم ، فهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويحسبون أنهم
 يحسنون صنعا . إذ تعدم أنفسهم وتنتيهم أنهم سينالون من هذا
 الدين بالطمع في رسوله العظيم ، وهيهات هيهات لما يوعدون .
 إن هذا الزواج ، زواج نبيل وغاياته وأهدافه شريفة

نبيلة، بين الله فيه للناس قواعد شرعية ، كان الناس عنها غافلين .
وإنه زواج قضت به السماء ، وأنزل فيه رب السماء آيات
بينات من عنده وأمر رسوله بالتنفيذ ، فنفذ ، وكان أمر الله
مفعولاً .

روي أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على نساء النبي ﷺ
بهذا الزواج الذي أمر به رب العزة من فوق سبع سماوات .

روي البخاري رحمه الله وغيره : أنها رضي الله عنها كانت
تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوجكن أهاليكن ،
وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات .

فهنيئاً لك يا أم المؤمنين زينب ، ورضي الله عنك
وأرضاك .

وصلى الله على زوجك الطاهر الأمين ، سيدنا ، ورسولنا ،
وإمامنا ، وهاديننا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أم حبيبة

« رملة بنت أبي سفيان »

« الأموية » رضي الله عنها

وفي سنة ست أو سبع من الهجرة ، تزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة « أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان » بنت زعيم قريش ، ورئيس مكة ، وخصم المسلمين العنيد ، آنذاك ، وعدو الرسول اللدود ، وقومه ، بنو عبد شمس ، كانوا أعداء بني هاشم قوم النبي عليه الصلاة والسلام ، ثاموا الدعوة الإسلامية وصاحبها ، واستفرغوا ما في طاقتهم من قوة ، لصد الرسول عن هذه الدعوة المباركة التي جاء بها من ربه ، ولكنه لم يفلح وارتد بصره خاسئاً وهو حسير .

وقد أسلم رجال مكة ونساءها حتى ابنة أبي سفيان أم حبيبة اعتنقت الإسلام ، وفرت من وجه أبيها هاربة بدينها العزيز إلى

الحبشة مع زوجها « عبيد الله بن جحش » ، وكان هذا الزوج قد أسلم أيضاً وهاجر إلى الحبشة بدينه ، فهاجرت زوجته أم حبيبة معه .

وفي الحبشة أضل الله هذا الزوج ، فارتد عن دينه الحنيف ، واعتنق النصرانية له ديناً ، فتبرأت منه أم حبيبة ولم تلتن إلى توسلاته بها ، في طلب اللحاق به ، بل ثبتت على دينها ، الاسلام وتمسكت به ، فلاقت في وحدتها هناك - في الحبشة - الشدائد والأهوال ، وجابهت المتاعب ، والمصاعب ، بالصبر والجلد ، وهي خائفة من بطش أبيها بها ، وهو فحل قريش ، وكبيرها ، وسيدها المطاع ، كما أنها رهبت نقمة أمها عليها ، وأمها « هند » ، عدوة الرسول الأولى ، ونخاصته الغنيدة ، التي كانت تؤلب عليه الناس ، وتنفرم منه .

وأخاف أم حبيبة كذلك بطش قومها وعشيرها ، وشماتهم بها ، وأخوف ما يخيف العربي شماته عدوه به .
هذه المخاوف ، جعلت الكرب يشتد على هذه المؤمنة الصابرة ، وقد مات زوجها هناك على رדתه ونصرانيته ، فبقيت وحيدة ، شريفة ، غريبة ، لا تدري ما تصنع ، فتركت أمرها إلى الله ، وتوكلت عليه ، « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

والله يكفيها ، ويكفلها ، ويرعاها ، ويحميها ، ما دامت
قد أحسنت التوكل عليه عز وجل .

علم الرسول الرحيم ﷺ بنجر هذه المرأة وحالتها المحزنة ،
فرق لها قلبه الكبير ، وأراد أن يجزيها ، على صبرها ، وثباتها
واستقامتها وجهادها ، خير الجزاء .

فكتب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ، ليزوجه
إياها ، فأبلغها النجاشي ذلك فكادت تطير فرحاً واستبشاراً ،
وسر خاطرها وجبرها بعد كسر ودخلها سرور ، لا يعرف مقداره
إلا الله الذي يعلم السر وأخفى .

فأكرمها النجاشي ، ولطف بها ، وأحسن اليها ، وأصدقها
عن النبي ﷺ ، أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ، وسفرها مع
شرحبيل بن حسنة معززة مكرمة ولما عادت إلى المدينة المنورة ،
تزوجها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام .

والذي تولى عقد النكاح في هذا الزواج الكريم ، عثمان بن
عفان رضي الله عنه .

وليعجب الحكماء ، من عمل الرسول في هذا الزواج ، الحكيم
والذي بلغ الغاية في الحكمة ولم يكن ليبلغها لولا عناية رب السماء
وهدايته .

لقد خفف الرسول بهذا الزواج من غلواء عداوة بني أمية له ، ويروى ان أبا سفيان حينما بلغه خبر هذا الزواج ، قال عن الرسول ﷺ : هو الفحل لا يقدر أنفه .

فافتخر بالرسول ﷺ ولم ينكر كفاءته له .

وفي هذا الزواج أسعف الرسول هذه المرأة المجاهدة ، البارة الصابرة ، وأنقذها من مأزقها الحرج ، واختارها لنفسه لشرفها وقومها ، فلو أنها زوجت من غير كفاء لاتخذ بنو أمية ذلك سبيلاً إلى إثارة الفتن بين القبائل ، وإيقاد نار الحرب ، باغراء قومهم ، وحلفائهم بالمسلمين ، على قلة عدد المسلمين ، وضعف عددهم .

وتزوج النبي الكريم ﷺ بهذه المرأة وقد بلغت من الكبر عتياً .

فهل بعد هذا البيان مجال لقول المفتريين ، الافاكين ، الذين يزعمون زوراً وبهتاناً ، أن للهوى والشهوة أثراً في كثرة زوجات النبي الطاهر الزكي وتعددتهن ؟ إنها القلوب السوداء التي ران عليها فغيرت معالم الحقائق والقت عليها استاراً من إفكها وضلالها .

ففي سيرة الرسول الأعظم وفي زواجه عليه الصلاة والسلام بزوجاته المتعددات ، أمثلة إنسانية نبيلة ، تجعل الحاقد الحسود

للاسلام ، يخرج ساجداً أمام هذا الدين الالهي الذي ملأ قلوب المؤمنين والمؤمنات نوراً وضياءً ، وبقينا بعظمة هذا الدين ، وفضله ، ورحمته ، وانسانيته : « ان الدين عند الله الاسلام » وقد حفظ التاريخ الاسلامي لأم حبيبة بنت أبي سفيان ، حادثة ، مدهشة ، جميلة ما كان لي أن أمر عليها من غير ان اذكرها للناس للعبرة البالغة التي تحملها معها هذه الحادثة .

وتدلنا هذه المسألة على قوة تأثير الاسلام في النفوس ، المشبعة بروح الايمان ، والذي يجعلها تستهين في سبيله بكل شيء حتى بأبنائها ، وآبائها وعشيرتها . واليك الحادثة :

قدم أبو سفيان إلى ابنته أم حبيبة ذات يوم ، وهو يعتقد أنه أب بار ، يملك تلك المنزلة الرفيعة التي تكون في قلب ابنته البارة به .

وأقبل على أم حبيبة ليدعوها إلى الكفر ، ويفريها بالردة ، فدخل بيتها ، ولما رغب في الجلوس على فراشها طوته ومنعت يده من لمسه أو الاقتراب منه ، فاشتد غضبه وقال لها : أراغبة بهذا الفراش يا بنية عني ؟ أم بي عنه ؟ فأجابته على الفور : بل به عنك ، لانه فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل نجس غير مؤمن . فغضب عليها وقال لها : لقد أصابك بعدي شر . فقالت : « لا والله بل خير » .

فألقت هذه المرأة المؤمنة على أبيها زعيم المشركين آنذاك .
درساً بليغاً في الإيمان ، دك قواه ، وهد جسمه ، وهدم شدته ،
ورده بالفشل والخسران . وعادت هي منتصرة مستبشرة ،
وعلم المؤمنون والمؤمنات بحالها وخبرها هذا فارتفع شأنها ،
وعلت مكانتها بين الناس فأكبروها وأكبروا فيها هذه الروح
الاسلامية الوثابة ، ثم كان من شأن أبيها ان اسلم وحسن اسلامه
بعد أن تألفه الرسول ﷺ وأحسن اليه إحساناً إثر احسان .

وأكرمه النبي ﷺ يوم فتح مكة ، فنادى المنادي يوم
النصر : « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار
أبي سفيان فهو آمن ، » .

وهكذا الاسلام في سماحته وعفوه ، يدفع بالتي هي أحسن ،
وينزل الناس منازلهم ، ويتألفهم ما استطاع الى ذلك سبيلاً ،
وهذا الزواج الكريم بأمر المؤمنين ، أم حبيبة ، دليل على عظمة
صاحب الرسالة محمد ﷺ وبعد نظره ، وثاقب رأيه ، وكريم
عطفه ورحمته بالمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رضي الله
عنهم أجمعين ، ورزقهم جنة النعيم ، وأيدهم بنصر منه عز
وجل ، والله نعم المولى ونعم النصير .

جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم ﷺ بالسيدة « جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار » سيد بني المصطلق .

وجويرية أرملة مسافع بن صفوان المصطلق ، وكان زوجها هذا من أشد وألد أعداء الاسلام والمسلمين وأكثرهم خصومة للرسول ﷺ .

قتل يوم المريسيع^(١) ، وترك هذه المرأة ، ف وقعت في الأسر بيد المسلمين ، والاسيرات من النساء كن يتخذن اماء للبيع أو للخدمة ، ولا يسوى بينهن وبين الحرائر في شيء ، وهن محرومات من نعمة العتق إلا بالمكاتبـة واشترأ أنفسهن من مالكن .

(١) المريسيع : اسم ماء لقبيلة خزاعة .

فأراد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات فسوى بينهن وبين الحرائر ، وضرب للناس أصدق مثل على سماحة الاسلام ، وبمنه ، وبركته ، وعدله ، بين الناس .

فتزوج النبي الكريم بهذه « الأمة » الأسيرة والقي على الناس درساً عملياً في هذه المسألة ، وازال من أذهانهم ما كان قد علق بها من احتقار الاماء والازدراء بهن ، وعلم أصحابه الكرام والمسلمين من بعدهم ، كيف يجب ان يصونوا ربات البيوت ، وسيدات الاسر ، ويرحموا عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر .

وقد كانت « جويرية » من سبايا بني المصطلق ، فتزوجها النبي ﷺ ليقتدي به أصحابه من بعده . وقد اقتدوا - فعلاً - إذ لم يكونوا ليركوا أمراً فعله رسول الله الحبيب المطاع ، بل كانوا يسرون على نهجه ﷺ ويقتدون بسنته حرفاً ، حرفاً .

بعد زواج النبي ﷺ من جويرية اعتق المسلمون جميع من كان بأيديهم من نساء بني المصطلق إكراماً لمصاهرة الرسول الحبيب لهم .

ولما رأى بنو المصطلق هذا السمو ، وهذا العفو والكرم اسلموا جميعاً ، وآمنوا بالله ورسوله .

فكانت « جويرية » أئمن امرأة على قومها .

ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه بين الامامين البخاري ومسلم :

عن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها قالت : أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهماً ، ف وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس . فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومى ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي . فقال : أو خير من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أودي عنك كتابك وأتزوجك . فقالت : نعم يا رسول الله . فقال رسول الله : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا : أصهار رسول الله يسترقون ؟ فاعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت ، بتزوجه ﷺ بجويرية بنت سيد القوم .

وروي ان أم المؤمنين جويرية كانت من أعبد أمهات المؤمنين .

وقد ورد أن أباهما جاء إلى النبي ﷺ فقال : ان ابنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها ، فأمره ﷺ ان يخيرها فسر بذلك أبوها ، فخيرها ، فاختارت الله ورسوله .

فانظر ايها القارئ المنصف إلى ثاقب رأي الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعظيم رحمته ، وجميل صنعه ، في هذه المرأة التي كانت زوجة لألد أعداء النبي وأشدم خصومه له ﷺ .

فأحسن إليها النبي وأكرمها فوق ذلك في قلبها وقلب أهلها وعشيرها ، موقعاً حسناً ودخلوا في دين الله أفواجاً .

وهذا ما يرجوه النبي المصطفى من نجاح دعوته المباركة بين الناس فهل بعد هذا البيان مقال لقائل ، وهل تجدد النفوس الحكيمة رأياً أسمى من هذا الذي رآه الرسول العظيم ؟ بشاغب رأيه وعظيم حكيمته ، وحاشا ثم حاشا ان يرى غير الرسول مثل هذا الرأي الذي تخر الجباه ساجدة لله الذي علم رسوله ما لم يكن يعلم ، لعظمة ما ترى وتسمع من حكمة رسول الرحمة ، والعدل ، والاحسان ، محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لاتباع الرسول الأمين .

صفية بنت حيي بن أخطب

رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه « بصفية بنت حيي » أرملة « كنانة ابن أبي الحقيق » والدة « حيي » زعيم بني النضير وسيدهم ، وهو من أشرف بيوتهم ، وفي غزوة خيبر ، أسرت صفية ووقعت في يد المسلمين ، فأخذها « دحية » في سهمه ، إلا أن أهل الرأي والمشورة ، من الصحابة الكرام اجتمعوا فقالوا للرسول ﷺ : يا رسول الله إنها سيدة بني النضير وقريظة ، لا تصلح إلا لك .

فاستحسن النبي الرحيم رأيهم ، وأبى أن تذلل هذه السيدة الشريفة في قومها بالرق والعبودية عند من تراه دونها في المكانة ، فاصطفاها النبي عليه الصلاة والسلام ، وأعتقها ، وتزوجها ، ووصل بهذا الزواج قومها الذين دأبوا على مخالصته طوال حياتهم .

ولقد أحسن الرسول ﷺ إلى هذه المرأة وأكرمها ،
وتلطف بها حتى أصبحت تفضله على أهلها وعشيرها ، وقد ورد
أن النبي الكريم خيرها بين العتق واللاحاق بأهلها ، وبين
اقترانها بها .

فقابلت هذا الاحسان بمثله ، فاختارت الله ورسوله ، وأعلنت
اسلامها ، وأظهرت حبها القديم للاسلام ، وقدمت طاعتها
واخلاصها لهذا الرسول الأمين وتركت قومها ، وأهلها ،
وعشيرها ، إلى غير رجعة .

روي عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال : « لما دخلت صفية
على النبي ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة
حتى قتله . فقالت : يا رسول الله ، ان الله يقول في كتابه :
« ولا تزر وازرة ، وزر أخرى » .

فقال لها رسول الله اختاري ، فان اخترت الاسلام
أمسكتك لنفسي ، وان اخترت اليهودية فمسي أن أعتقك
فتلحقني بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الاسلام ،
وصدقت بك ، قبل ان تدعوني حيث صرت الى رحلك ، وما
لي في اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر
والاسلام ، فالله ورسوله أحب الي من العتق ، وأن أرجع إلى

قومي . قال : فأمسكها رسول الله لنفسه ، وقد دلت بهذا الموقف على براعتها ، وحدة ذكائها وحسن إيمانها .

ودلت هذه الحادثة على سمو الاسلام وعظمته ، وانه قد غزا القلوب فتمكن فيها ورسخ ، ولئن طمسه الباطلة وقتا ما ، فلا بد من أن يظهره الحق في أوقات وأوقات : « وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً » فماذا يقول المنصفون في هذا الزواج ، أليس فيه الحكمة والسداد ، والهدى والرشاد ، لقد أحسن الرسول إلى من أساء إليه من اليهود ، وجازى هذه المرأة الصادقة خير الجزاء ، على إسلامها وإيمانها .

أما ان أباهم لم يزل على خصومته مع الرسول ﷺ فذلك طبع اليهود الخبيث ، ولؤمهم الخسيس الذي جبلوا عليه ، وفطروا على الشر والكيد ، والحقد ، والحسد ، والنفاق ، وعداوة المسلمين ، ورسول رب العالمين ، ولقد نبه القرآن إلى خطرهم ، ووصفهم بأوصافهم التي فطروا عليها ، ولا تبديل لخلق الله . وقال الرسول ﷺ : ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله .

وزواج الرسول ﷺ بهذه المرأة يحمل معه حكمة عالية ، لا يدركها إلا ذووا الألباب .

فاليهود ، هم ، هم ، في صفاتهم وعداوتهم ، وعنادهم ،
 وكفرهم ، ومع هذا ، وفوق كل هذا ، فالرسول ﷺ لا يمكن
 ان يتجرد من طبيعة الخير والاحسان ، التي فطر عليها ، فهو
 يحسن إليهم ، ويدعهم في خبثهم ، ولؤمهم ، وإساءتهم ، ينطوون
 على أنفسهم ، إذا لم يجبدوا منفذاً للطعن بالاسلام
 وبأصحابه ورسوله الأمين ، عافانا الله من شر هذه الطائفة
 الضالة ، وهذان بهدي الاسلام الذي نبهنا قبل أربعة عشر قرناً
 إلى خطرهم وضلالهم ، وكفرهم ، وعداوتهم لنا ، ولكننا لم نأخذ
 بوصية القرآن وتحذيره لنا من شرورهم ، وغفلنا عن ديننا ،
 ونسينا ربنا وشغلتنا أموالنا ، وأهلونا ، ومطامعنا فكان ما
 كان من شأننا معهم قاتلهم الله ، وأذلهم وجعل عاقبة أمرهم
 خسرأ . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ميمونة بنت الحارث

« الهلالية »

رضي الله عنها

وفي أواخر السنة السابعة للهجرة تزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة « ميمونة بنت الحارث » وجرى هذا الزواج المبارك بمكة المكرمة في إبان عمرة القضاء. وهذه المرأة هي آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ ، وكانت زاهدة عابدة ، وقد قالت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أما انها كانت من اتقانا الله ، وأوصلنا للرحم .

وفي غزوة تبوك كانت ميمونة في صفوف المجاهدين ، تسعف الجرحى ، وتواسي المرضى ، وتجاهد في سبيل الله حق الجهاد . ويقال بأنها رضي الله عنها أول امرأة ألفت فرقة نسائية لاسعاف الجرحى ، والقيام بواجبات المجاهدين في سوح الكرامة والشرف ، ولقد أصابها في جهادها سهم من سهام الأعداء وهي

تحمل الماء للمصابين ، فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه .

وميمونة هذه أخت لبابة الكبرى ، زوجة العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ ، وخالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . قال العلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا : « ورد أن عم النبي العباس رغبه فيها وهي أخت زوجته لبابة الكبرى أم الفضل ، وهو الذي عقد له عليها باذنها ، ولولا أن العباس رأى في ذلك مصلحة عظيمة ، لما عني به كل هذه العناية لارضاء إمرأته ، وفعلًا كانت المصلحة في هذا النكاح المبارك فقد تقرب النبي الرحيم إلى الهلالين قومها فأكبروا في الرسول هذه المروءة ، والحمية ، والنجدة ، ثم أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجًا ، وآزرُوا الرسول ونصروه ، وساروا معه صلى الله عليه وسلم حيث سار . وحينما تزوج الرسول ﷺ بهذه المرأة ، كانت قد بلغت من الكبر عتياً .

فهل تجد أيها القارئ الكريم أثراً للهوى أو الشهوة في مثل هذا الزواج الكريم إنه الفضل والمروءة ، والبر والاحسان ، والعطف ، والرحمة ، والسياسة ، والكياسة ، كل ذلك دعاه ﷺ إلى مثل هذا الزواج النبيل ، الذي دل على بعد نظر الرسول ، وسمو قصده ، وجميل احسانه بالمؤمنات صلوات الله وسلامه عليه .

ولو لم يكن هذا مراده ، وتلك غايته ، فما كان أغناه عن مثل هذا الزواج ، بمثل هاته الثيبات المكتهلات وما أكثر النواهد والابكار في قومه وعشيرته ، ولو أن للهوى والشهوة أثراً في زواجه ﷺ بمن تزوج بهن من النساء ، وكلهن أرامل - غير عائشة - لاستعاض عنهن بالكواعب والأتراب ، وما أكثر الذين يودون مصاهرته ﷺ وهو الحبيب الى كل قلب ، المحترم من كل نفس ، المعروف بالأمانة ، والموصوف بصفات الكمال والنجابة ، الفطن الذكي الشريف الأبى . ولكنه ﷺ أسمى من أن يتزوج استجابة لداعي الهوى ، وأعلى ، وأكبر ، واجل من ان يقترن اشباعاً للشهوة .

فحاشاه ثم حاشاه ، ألف ألف مرة مما يقول المرجفون ، فهو ﷺ النبي المعصوم ، والرسول الذي كمله الله ، وختم به النبوات والرسالات ، وأنى لخاتم الأنبياء والرسل ان يوصف بمثل هذه الصفات وهي صفات نقص ، والرسول عليه الصلاة والسلام قد رباه الله وجعله الانسان الكامل ، والمثل الكامل في الوجود وشهد فيه بقوله : «وانك لعلى خلق عظيم» . وقال تعالى : «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً» .

صدق الله العظيم

الخاتمة

قال الله تبارك وتعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً » ، لقد ظهر الحق جلياً واضحاً لكل ذي عينين ، وبطل ما كان يقوله : المنافقون ، والمبشرون الأفاكون وغيرهم .

فالرسول الأعظم ﷺ إنما راعى في زواجه بالزوجات المختلفات ، مصلحة الدين ، والتشريع ، وقصد تأليف القلوب فجذب اليه بهذه المصاهرات كبار القبائل وكرام الناس والعشائر .

وعلم الناس كيف يجب ان يكون احترام النساء واكرامهن ، والعدل بينهن ، والرحمة والشفقة بهن ، وقد كان لكل زوج - كما بينا - ظرفاً سياسياً ، أو غرضاً دينياً شريفاً ، أو هدفاً اجتماعياً رمى اليه الرسول ﷺ فأصاب .

لقد قضى الرسول ﷺ الفترة الأولى من حياته وهي فترة
العزوبة بطهر ، وعفاف ، وشرف ، ولم يستطع أعداؤه الذين
خاصموه بعد النبوة ان يذكروا حادثة واحدة تمس شرفه
وكرامته بل لقب بينهم بالأمين وعرف بينهم بالطاهر ، ولقد
أدبه الله فأحسن تأديبه .

قال المسيو « ميور » في كتابه « حياة محمد » : « ان جميع
المراجع التي بين أيدينا متفقة في وصف محمد في شبابه بأنه كان
محتشماً في سلوكه ، طاهراً في آدابه النادرة بين أهل عصره » .

قضى الرسول ﷺ خمساً وعشرين سنة من عمره السعيد في
هذا الوقار والاحتشام ، الذي يشهد به حق غير المسلمين .

ثم جاء الدور الثاني الذي تزوج فيه بخديجة الكبرى رضي
الله عنها وقد كان عمرها أربعين سنة - كما بينا - ومكث معها
ﷺ ستاً وعشرين سنة ولم يتزوج عليها أبداً . حتى ماتت رضي
الله عنها وكان قد بلغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام واحداً
وخمسين سنة ، قضاه مع زوجة واحدة ، ثم تزوج بأم المؤمنين
سودة بنت زمعة وهي طاعنة في السن ومكث معها وحدها ما
يقرب من ثلاث سنوات .

فيكون ﷺ قد أمضى ما يقرب من أربع وخمسين سنة من حياته الشريفة في العزوبة والزوجة الواحدة فقط .

وأما بقية الزوجات فكلهن تزوج بهن المصطفى عليه الصلاة والسلام في الفترة التي بدأت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين ، وكثر فيها القتل والقتال ، وهي من السنة الثانية للهجرة إلى السنة الثامنة التي تم فيها النصر للمسلمين بفتح مكة المكرمة واستخلاصها من أيدي المشركين .

ومن المعروف أن في زمن الحروب يكثر قتل الرجال وهم عماد الأسر . فتزول النساء ، وتيتم الأولاد ، ويفقدون ولا عائل لهم ولا كافل ولا معين .

وقد رأينا مواقف شريفة لرسول الله ﷺ في هذا الظرف العصيب ، لقد لطف بالنساء المتاملات وأحسن اليهن وكفل أبناءهن اليتامى وتزوج منهن بهذا العدد ليخفف من ويلات الحرب والغزو ، وليرحم عزيز قوم ذل ، وغني قوم أفقر ، وليترك من بعده نساء أمهات المؤمنين ، ليكن مدارس لتعليم الناس أمور دينهم ، وقد ترك الرسول ﷺ من بعده تسع

امهات للمؤمنين يعلمن النساء أحكام الدين ، ويفتين الرجال في كثير من المسائل ، ومن المعلوم أن زوجة واحدة لا يمكن أن تقوم بما قامت به هذه الزوجات المتعددات. وفي كل زواج ظهر لنا الدليل الساطع على سمو ونبل خلق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبرز البرهان القاطع لكل قول منكر ، وبانت للعالم نوايا الرسول ﷺ الطيبة وأهدافه العالية من تعدد الزوجات وقد كان ﷺ المثل الكامل والقدوة الصالحة للرجال في كيفية معاشرة الزوجات بالمعروف ، والقسمة بينهم بالعدل في المبيت ، والنفقة ، واللفظ والتكريم ، والافاة والرفق والموعظة الحسنة ، ومن سمو خلقه عليه الصلاة والسلام أنه كان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده الشريفة .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له ولا خادماً قط » .

وسئلت رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ^(١) .

(١) رواه البخاري

ومن وصف عائشة للنبي ﷺ انها قالت : « كان ﷺ ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا انه كان بساماً ، رواه ابن سعد .

فليقرأ الناس أسباب تعدد زوجات النبي الأعظم ليزيلوا من أذهانهم ما تركته فيها الثقافة الاستعمارية ، والسموم التبشيرية من شكوك وريب ، ودس وكيد للاسلام ونبي الاسلام ، وليدحضوا حجج المفترين الباطلة ويقولوا للناس ان النبي الأعظم والرسول الأكرم أسمى من أن تصل اليه سهامكم الطائشة ، وهو البدر المنير في سماء الخلود .

وليقراً الرجال سيرة الرسول ﷺ ليعلموا كيف كانت معاشرته مع زوجاته ، ولينه ، وعطفه ، وتكريمه لهن ، واحسانه اليهن رضوان الله عليهن أجمعين . وليترك الأزواج الغلظة والفظاظة التي يعاملون بها زوجاتهم وليقتدوا بأكرم الرسل ، وسيد العالمين ، وليدرسوا حياته المنزلية السامية ، ومعاملاته في بيوته الكريمة فعمى ان يكونوا من المهتدين .

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المهتدين بهدي محمد ﷺ

والمقتفين لآثاره ، والسائرين على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ،
وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه تعالى .

« ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »



« والحمد لله رب العالمين »

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، وصحبه ،
وأزواجه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

تم الكتاب بعونه تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملاحظات هامة

« حول الطبعة الأولى »

عندما صدرت الطبعة الأولى من كتابي هذا «زوجات النبي الطاهرات» في بغداد سنة ١٣٦٩ هـ سنة ١٩٥٠ م أبدى بعض قراء ملاحظات حول الكتاب ، وكنت قد أجبتهم عليها في حينها ووعدتهم بأنني في الطبعة الثانية سأسجل بعض هذه الملاحظات لأنها جديرة بالناية وهاأنذا أقدمها للقراء في طبعة الكتاب الثانية راجياً أن تتم بها الفائدة والله الموفق .

١ - الملاحظة الاولى : حول « مارية القبطية »

وهي اني لم أعدها في سجل زوجات النبي الطاهرات وهي أم ابراهيم رضي الله عنها وعنه فأجبت السائل بما يأتي : عندما كتب الرسول الأمين ﷺ الى الملوك يدعوهم الى الاسلام كتب

الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وأرسل كتابه مع حاطب
ابن ابي بلتعة وبعد قراءة المقوقس لكتاب رسول الله ﷺ
وسؤاله حاطب بعض الأسئلة أعجب به وقال : إني قد
نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا
ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن
الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة ، بإخراج الحباء والأخبار
بالنجوى وسأنظر . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في « حَق »
من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب
بالعربية فكتب الى رسول الله ﷺ .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك ، أما
بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو
اليه ؛ وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن انه سيخرج بالشام ،
وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين هما مكان في القبط
عظيم ، وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها ، والسلام عليك .
والجاريتان هما : مارية وسيرين .

ولما وصلت الهدية الى الرسول قبلها ، ودخل بمارية القبطية
على انها جارية ، ومملوكة ملك اليمين ، ولم تكن بالزوجة . ثم

جاءت بإبراهيم فأصبحت أم ولد ، وأم الولد في الشريعة لا يجوز
لمالكها بيعها ولا تملكها. ولمالكها وطؤها واستخدامها واجارتها
وتزويجها ، لا يثبت نسب ولدها إلا إذا اعترف به مولاهما
ومالكها ، وهي تختلف عن الزوجة اختلافاً كبيراً قال الله تعالى :
« والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمنهم ، فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون » .

وقد فرق القرآن بين الزوجة ، وبين المملوكة ملك اليمين .
ولما كان كتابي هذا مختصاً بزوجات النبي الطاهرات لذا لم أذكر
فيه في الطبعة الأولى مارية القبطية في جدول أزواج النبي
رضوان الله عليهن ولم أقكلم عنها لهذا السبب ولكني رأيت
الملاحظة وجية وجديرة بالاهتمام لذا سجلتها وأبنت ما ورد
فيها راجعاً منها الافادة للقراء .

٢ - الملاحظة الثانية هي : عدم ذكرني لاسم زوج خديجة
الكبرى قبل الرسول ﷺ . وعدم ذكر زوج ميمونة بنت
الحارث قبل الرسول ﷺ .

وأني لم أذكرهما لوجود الخلاف فيها وعدم الاتفاق عليها .

ولا احب أن أشرح موضوعاً خلافاً في مثل هذا الكتيب الصغير . ومع هذا فأني أنقل ما ورد فيها من قول :

١ - جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر جز ٤ ص ٢٧٣ حرف الحاء :

« خديجة » بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية . زوج النبي ﷺ . وأول من صدقت ببعثته مطلقاً . قال الزبير بن بكار : كانت تدعى قبل البعثة بالطاهرة وأما فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي . وكانت عند أبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أولاً . ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . ثم خلف عليها رسول الله ﷺ . هذا قول ابن عبد البر ونسبه الأكثر . وعن قتادة عكس هذا . وهو ابن أول أزواجها عتيق ثم أبو هالة . ووافقه ابن اسحق في رواية ابن يونس بن بكير عنه وكذا في كتاب النسب للزبير بن بكار لكن حكى القول الأخير أيضاً عن بعض الناس ، انتهى .

- أما اسم زوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث فقد جاء في نفس المصدر أي كتاب الإصابة جزء ٤ ص ٣٩٧-٣٩٨ حرف الميم :

« ميمونة » بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم الفضل لبابة . كان اسمها « برة » فسماها النبي ﷺ « ميمونة » . وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبدود ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري . وقيل عنه سخيرة بن أبي رهم المذكور . وقيل عنه حويطب بن عبد العزى وقيل عنه فروة أخيه ، انتهى .

٣ - الملاحظة الثالثة :

لقد ذكر صاحب كتاب العقد الفريد في الجزء الثالث في باب « زوجات الرسول » أسماء زوجات لم أذكرهن أنا في مؤلفي هذا ، والسبب هو انهن لم يكن زوجات بالمعنى الذي قصدته في الكتاب عندي ، فمن لم تكن زوجة ذات قرار مكين عند الرسول ﷺ لم أهتم لذكرها اختصاراً للموضوع وعدم وجود الفائدة المرجوة في مثل هذا التوسع . وإلى القراء الزيادة التي جاءت عند صاحب العقد الفريد في أسماء من بنى بهن من الزوجات ومنهن من طلقهن قبل الدخول .

- ١ - خولة بنت حكيم : وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ .
- ٢ - وتزوج امرأة يقال لها « عمرة » فطلقها ولم يبن بها وذلك ان أباهما قال له : وأزيدك انها لم تمرض قط . فقال النبي

عليه السلام : ما لهذه عند الله من خير فطلقها .

٣ - وأميمة بنت النعمان طلقها قبل أن يطاها .

٤ - وخطب امرأة من بني مرة بن عوف فردها لأبيها وقال :
ان بها برصاً . فلما رجع إليها وجدها برصاء .

هذا كل ما أبداه القراء من ملاحظات حول الكتاب في
طبعته الأولى وأرجو ان يكون في طبعته الثانية قد استوفى
رغبات أصحاب هذه الملاحظات جزاهم الله كل خير ونال منهم
ما يستحق من رضا وتقدير ولعلنا نحظى منهم بدعوة صالحة
ندخرها ليوم الحساب . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
والحمد لله رب العالمين .

الموضوع

الاهداء

- ٥
٧ مقدمة الطبعة الثانية
١١ المقدمة
١٣ كلمة عامة
٢١ مجموع امهات المؤمنين
٢٣ خديجة الكبرى
٢٩ سودة بنت زمعة
٣٢ عائشة الصديقة
٣٦ شيء مما ورد في عائشة الصديقة
٣٧ شيء مما ورد في أبيها ابي بكر الصديق
٤١ حفصة بنت عمر بن الخطاب
٤٧ زينب بنت خزيمة
٥١ أم سلمة - هند بنت أبي أمية المخزومية
٥٥ زينب بنت جحش الأسدية
٥٨ زيد وقصة تبنيه
٦٧ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية
٧٣ جويرية بنت الحارث
٧٧ صفية بنت حيي بن أخطب
٨١ ميمونة بنت الحارث الهلالية
٨٤ الخاتمة
٩٠ ملاحظات هامة حول الطبعة الأولى